اســـم الكتـــاب: يسألونك عن الأئمّة عليهم السلام

الـــمـــؤلـــف: الشيخ د. أكرم بركات

الـــنـــاشـــر: بيت السراج للثقافة والنشر

الطبعـة الرابعـة: بيروت ١٤٣٨هـ - ٢٠١٧م

يسألونك عن الأئمة (ع)

الشيخ د. أكرم بركات

بسم الله الرحمن الرحيم

سلسلة على منبر القائم عجّل الله فرجه الشريف

قضايا تلامس حاجة الناس في الفكر والسلوك وتضيء على طريق سعادة الإنسان، وتوضّح برنامجها تناولها الشيخ د. أكرم بركات على منبر مسجد القائم عجّل الله فرجه الشريف في الضاحية الجنوبيّة لبيروت ثمّ ألبسها ثوبَ الكلمات المكتوبة بين يديك عسى أن تكون محلاًّ للقبول.

المقدَّمة



والحمد لله ربّ العالمين، والصلاة والسلام على أشرف خلقه محمّد وآله الطيّبين الطاهرين.

...وتتالت جلسات الحوار في مسجد القائم عجل الله فرجه الشريف، وتركّزت في قسم منها على الإمامة ومقامات الأئمّة عليهم السلام، ممّا دعاني دفعًا لتكرار الأجوبة أن أعمّمها من منبر المسجد، ثمّ أدوِّنها في هذا الكتاب ضمن سلسلة منبر القائم عجل الله فرجه الشريف؛ لعلّها تكون مورد استفادة طالبي المعرفة، وزادًا لي يوم القيامة، يوم لا ينفع مال ولا بنون إلاّ من أتى الله بقلب سليم.

أكرم بركات

مسجد القائم، بيروت

رمضان ١٤٣٤هـ - تموز ٢٠١٣م

1

ما معنى الإمامة في المصطلح الشيعيّ؟

الإمام في اللغة والقرآن الكريم

إنّ كلمة الإمـام في اللغة تعني المتَّبَع والمقتدى بـه[١]، بغضّ النظر عن كون ذلك الاقتداء في طريق الخير أو الشرّ. وقد استعمل القرآن الكريم لفظ الإمـام في المعنى اللغويّ نفسه، قال تعالى في إمامة الخير: ﴿وَجَعَلْنَاهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا﴾[٢]، ﴿إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا﴾[٣]، وقال تعالى في إمامة الشرّ: ﴿وَجَعَلْنَاهُمْ أَئِمَّةً يَدْعُونَ إِلَى النَّارِ﴾[٤].

---

(١) الفيّومي، أحمد، المصباح المنير، ط١، قم، دار الهجرة، ١٤٠٥هـ، ص ٢٣.
(٢) سورة الأنبياء، الآية ٧٣.
(٣) سورة البقرة، الآية ١٢٤.
(٤) سورة القصص، الآية ٤١.

الإمام في الأحاديث المشتركة

ورد عند أهل السُّنّة والشيعة حديث حول الموقع الحسَّاس للإمام في مصير المسلم، فقد روى الشيعة عن النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم: **«من مات ولم يعرف إمام زمانه مات ميتةً جاهليّة»**[(١)].

وقد روى أهل السُّنَّة مضمونًا قريبًا من هذا الحديث، ففي مسند أحمد بن حنبل عن رسول اللّه صلى الله عليه وآله وسلم: **«من مات بغير إمام مات ميتةً جاهليّة»**[(٢)]

وروى ابن حبَّان في صحيحه عن النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم: **«من مات وليس له إمام مات ميتةً جاهليّة»**[(٣)].

---

(١) الكلينيّ، محمد، الكافي، تحقيق علي أكبر الغفاري، ط٥، طهران، دار الكتب الإسلامية، ١٣٦٣هـ، ج٤، ص ٢٦٨. الكلينيّ، محمد، الكافي، تحقيق علي أكبر الغفاري، ط٥، طهران، دار الكتب الإسلامية، ١٣٦٣هـ، ج٤، ص ٢٦٨.الطوسي، محمّد، الرسائل العشر، (لا،ط)، قم، مؤسّسة النشر الإسلاميّ، (لا،ت)، ص ٣١٧. الصدوق، علي بن بابويه، الإمامة والتبصرة، تحقيق مدرسة الإمام المهدي، ط١، قم، مدرسة الإمام المهدي، ١٤٠٤هـ، ص٢.

(٢) ابن حنبل، أحمد، مسند أحمد بن حنبل، (لا،ط)، بيروت، دار صادر، (لا،ت)، ج٤، ص ٩٦. الهيثمي، علي، مجمع الزوائد، (لا،ط)، بيروت، دار الكتب العلمية، ١٤٠٨هـ، ج ٥، ص ٢١٨. الطبراني، سليمان، المعجم الكبير، تحقيق حمدي عبد المجيد السلفي، ط٢، نشر دار إحياء التراث العربي، (لا،ت)، ج ١٩، ص ٣٨٨. المتقي الهندي، علاء الدين، كنز العمال، (لا،ط)، بيروت، مؤسسة الرسالة، ١٤٠٩هـ، ج١، ص١٠٣.

(٣) ابن حبان، صحيح ابن حبان، تحقيق شعيب الأرنؤوط، ط٢، نشر مؤسسة الرسالة، ١٤١٤هـ، ج١٠، ص ٤٣٤.

وفي رواية الجاحظ: «من مات ولا إمام له مات ميتةً جاهليّة»[١].

وفي ينابيع المودّة: «من مات ولا يعرف إمام زمانه مات ميتةً جاهليّة»[٢].

إنّ هذا الحديث بمختلف صيغه يؤكِّد مدى اهتمام النبيّ ﷺ بمسألة الإمامة، لكن يبقى الكلام في تفسيرها، الذي اختلفت فيه أنظار أهل السُنَّة والشيعة، فقال أهل السُنّة: إنَّ الإمامة هي الرئاسة التي أوكل خيارها للناس من بعد النبيّ ﷺ. أمّا رأي الشيعة، فيتبيّن من خلال ما يلي:

معنى الإمام عند الشيعة

إنَّ المعنى الذي طُرح في الفكر الشيعيّ يدور حول مراتب ثلاث:

١- المرجعيّة الدينيّة

ذكرنا في كتابنا السابق «يسألونك عن الأنبياء» أنّ

(١) الجاحظ، عمرو، العثمانية، تحقيق عبد السلام محمد هارون، (لا،ط)، مصر، دار الكتاب العربي، (لا،ت)، ص ٣٠١.

(٢) القندوزي، سليمان، ينابيع المودة، تحقيق سيد علي جمال أشرف الحسيني، ط١، أسوة للطباعة والنشر، ١٤١٦هـ، ج ٣، ص ٤٥٦.

الدين الإسلاميّ كَمُل في تشريعه بعنصرين هما: القرآن الكريم، والسُنّة النبويّة، التي تعني أقوال النبيّ محمّد صلى الله عليه وآله وسلم وأفعاله وتقريره، لكن السؤال الذي يُطرح هو:

هل استطاع النبيّ محمّد صلى الله عليه وآله وسلم أن يبلّغ جميع تفاصيل الشريعة للناس؟

والجواب: إنّ إلقاء نظرة فاحصة على مرحلة تبليغ هذه السّنَّة الشريفة يوقفنا أمام أمر مهمٍّ جدّاً، فمرحلة تبليغ السنّة النبويّة دامت ثلاثاً وعشرين سنة، قضى منها النبيُّ الأعظم صلى الله عليه وآله وسلم ثلاثَ عشرةَ سنةً في مكّة، وعشرَ سنوات في المدينة المنوّرة.

أمّا في السنوات المكّيَّة الثلاثَ عَشْرَة فلم يؤمن بالنبيّ صلى الله عليه وآله وسلم إلاّ عدد قليل لم يتجاوز عددهم أربعمائة مسلم على الأكثر[1].

وكان أغلبهم من المستضعفين المضطهدين؛ ممَّا أدّى إلى هجرة الكثير منهم (٧٠ عائلة) إلى الحبشة مرّتين،

(١) انظر: المطهري، مرتضى، الإمامة، ترجمة كسَّار، ط١، قم، منشورات أم القرى، ١٤١٧هـ، ص ٧٧.

وبالتالي انفصالهم المباشر عن تلقّي الدعوة الإسلاميّة من النبيّ محمّد صلى الله عليه وآله وسلم.

وفي هذه السنوات المكّيَّة، كان المشركون يضيِّقون على النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم، والمسلمين الباقين معه تضييقًا شديدًا، ويمنعونه من تبليغ دعوته للآخرين، حتّى وصل الأمر بهم إلى محاصرته مع جملة من الهاشميّين في شِعْبِ أبي طالب ثلاث سنوات، حيث كانت المجاعة الشديدة...

إنّ الناظر في هذا المرحلة المكّيَّة يُدرك بوضوح أنّ الفرصة لم تسنح للنبيّ صلى الله عليه وآله وسلم إلاّ تبليغ أساسيّات الاعتقادات، والبعض القليل من جوانب الشريعة، وهذا ظاهر من خلال الآيات القرآنيّة النازلة في مكّة.

وممّا يؤكّد هذا الواقع أنّ فريضة الصوم، وهي من أوائل فروع الدين، لم تنزل في مكّة، بل في المدينة.

وانتهت هذه السنوات المكّيَّة بهجرة النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم إلى يثرب ليقضي فيها عشر سنوات كانت مليئة بالحروب والغزوات وما شابه، إضافة إلى الخلافات التي حصلت بين القبائل

من داخل المجتمع الإسلاميّ الجديد. وقد سجّل التاريخ في الفترة المدنيّة النبويّة وقوع أكثر من ثمانين معركة، وغزوة، وإرسال سرايا، وما شابه.

ومن الواضح أنّ هذه الحروب والغزوات شكّلت معوِّقات أمام تبليغ تفاصيل الشريعة الإسلاميّة، والسنَّة النبويّة الشريفة.

يقول الشهيد المطهّري: «وإذا أردنا أن نغضَّ النظر عن الواقع الكائن في مكّة والمدينة، ونفترض أنّ رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم سلك في هذه السنوات الثلاث والعشرين من البعثة نهج المعلِّم، الذي لا شأن له إلاَّ الذهاب إلى الصفّ وتعليم الناس، فمع ذلك لم يكن هذا الوقت وافيًا كي يُبيِّن النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم للناس جميع ما ينطوي عليه الإسلام»[1].

إذًا لا بدَّ من حلٍّ يتسنَّى من خلاله للنبيّ صلى الله عليه وآله وسلم أن يبلِّغ، ويحفظ سنَّته الشريفة، التي تمثّل مع القرآن الكريم توأم التشريع الكامل.

(١) المطهري، مرتضى، الإمامة، ص٧٧.

فكان الحلّ الإلهيّ يتمثّل بتربية إلهيّة لشخص استثنائيّ يكون وعاءً لعلم النبيّ ﷺ ومستودعًا لسنّته، وحافظًا للدين الحنيف.

وكان هذا الشخص هو عليّ بن أبي طالب عليه السلام، فكان محلَّ الفيض الإلهيّ، والتعليم النبويّ.

وهذا ما يعطينا التفسير الواضح لتلك الجلسات الطويلة بين النبيّ محمّد ﷺ والإمام عليّ عليه السلام، وتلك الملازمة الشديدة بينهما، التي كان يعبِّر عنها أمير المؤمنين عليه السلام بقوله: **«ولقد كنت أتبعه اتّباع الفصيلِ أَثَرَ أُمِّه»**[1]، وكان النبيّ ﷺ كما يخبر عنه علي عليه السلام: **«إذا سألت رسول الله ﷺ أجابني، وإن فنيت مسائلي ابتدأني»**[2].

وأكَّدت الروايات أنّ هذا التعليم الخاصّ كان بأمر إلهي، فقد روى أبو نُعَيْم الحافظ الشافعي (ت ٤٣٠هـ) بإسناده عن رسول الله ﷺ: **«يا عليّ، إنّ الله عزّ وجلّ أمرني أن أدنيك**

---

(١) المجلسيّ، محمّد باقر، بحار الأنوار، تحقيق عبد الرحيم الرباني الشيرازي، ط٢، بيروت، مؤسسة الوفاء، ١٤٠٣هـ، ج١٤، ص٤٧٥.

(٢) الصفار، بصائر الدرجات، منشورات بصيرتي، قم، ص ١٩٨.

وأعلّمك لتعيَ وأنزلت هذه الآية (وتعيها أذن واعية) وأنت أذن واعية للعلم»[١].

ولأجل هذا الدور الإلهيّ في إكمال تبليغ الشريعة الإلهية، والسنَّة النبويّة، حدَّد النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم أنّ للشريعة مدخلاً، وأنّ لعلمه بابًا، من أراد أن يغترف لا بدَّ من أن يدخل منه، فقال صلى الله عليه وآله وسلم: **«أنا مدينة العلم وعليٌّ بابها»**[٢].

ولم تكن فترة حياة أمير المؤمنين عليه السلام - لا سيَّما بالظروف التي أحاطت بها - كافية لأداء هذا الدور الكبير في إكمال تبليغ السُنَّة النبويّة، فخزَّن أمير المؤمنين عليه السلام تفاصيل الشريعة الطاهرة في الحسن والحسين عليهما السلام ليكونا المرجع التشريعيَّ - بالمعنى المتقدّم - للناس، وهذ

---

(١) حلية الأولياء، منشورات دار الكتب العلمية، بيروت، ط ١، ١٤٠٩هـ، ج١، ص٦٧. الجويني، فرائد السمطين، تحقيق المحمودي، منشورات مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٤٠٩هـ، ج١٣، ص١٣٦. الحلي، الحسن، كشف اليقين، تحقيق علي آل كوثر،ط١، قم، منشورات مجمع إحياء الثقافة الإسلامية، ١٤١١هـ، ص٥٢.

(٢) الترمذي، الجامع الصحيح، منشورات دار إحياء التراث، بيروت،١٩٨٣، ج٥، ص ٦٣٧. الحلي، كشف اليقين، ص٥٧. الأربلي،علي، كشف الغُمَّة، ط٢، بيروت، دار الأضواء، ١٤٠٥هـ، ج١، ص١١٣. الهندي، كنز العمال، ج١٣، ص١٤٨. القندوزي، ينابيع المودة، منشورات الأعلمي، بيروت، ص٧٠.

ما يكشف لنا سرَّ قول النبيّ ﷺ الذي اشتُهر به: «**الحسن والحسين إمامان قاما أو قعدا**»(١).

وشاءت الإرادة الإلهيّة أن تنتقل هذه السنَّة المطهّرة من صدور طاهرة، بعد أن يقوم كلّ إمام بدوره الرائد، فأودع الحسين عليه السلام علوم الإسلام في ابنه زين العابدين عليه السلام، والسجّاد أودعها في الباقر، والباقر عليه السلام في الصادق عليه السلام، والصادق عليه السلام في الكاظم عليه السلام، والكاظم عليه السلام في الرّضا عليه السلام، والرّضا عليه السلام في الجواد عليه السلام، والجواد عليه السلام في الهادي عليه السلام، والهادي عليه السلام في العسكري عليه السلام، والعسكري في قائم أهل البيت الحُجّة المهديّ عجل الله فرجه الشريف، لتكتمل به سلسلة النور، وليكون أئمَّة أهل البيت عليهم السلام مع القرآن توأم التشريع اللذين خلّفهما رسول اللّه، وأمر أمته بالتمسّك بهما، حينما قال: «**إنّي تارك فيكم الثَّقلَيْن كتاب الله وعترتي أهل بيتي (ما إن تمسَّكتم بهما لن تضلّوا**

(١) المجلسي، بحار الأنوار، ج١٠، ص٧٨.

بعدي أبدًا) ولن يفترقا حتى يردا عليَّ الحوض»[١].

إنَّ التمسّك بأهل البيت عليهم السلام في هذا الحديث هو باعتبارهم حفظة للسُنّة النبويّة، وهذا هو معنى المرجعيّة الدينيّة التي هي من مراتب الإمامة.

الجامعة كتاب السُنّة النبويّة

وأكّد أهل البيت عليهم السلام مرجعيّتهم في التشريع الدينيّ من خلال أحاديثهم عن كتاب يسمّى «الجامعة»، وهو كتاب السُنّة النبويّة الذي أملاه رسول اللّه صلى الله عليه وآله وسلم على الإمام عليّ عليه السلام، فخطّها عليه السلام بيده. ففي حديث أبي بصيرة: « دخلت على أبي عبد الله عليه السلام، فقلت له: جُعِلْتُ فداك، إنّ شيعتك يتحدّثون أنّ رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم علّم عليًّا عليه السلام بابًا يفتح له منه ألف باب قال عليه السلام: يا أبا محمّد، علّم رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم عليًّا عليه السلام ألف باب يفتح من كلِّ باب ألف باب، قال

(١) الطبري، محمّد، المسترشد، تحقيق أحمد المحمودي، ط١، قم، منشورات مؤسّسة الثقافة الإسلامية، ١٤١٥هـ، ص ٥٦٠، انظر: كتاب «حديث الثقلين» الذي طبع في القاهرة من قبل دار التقريب بين المذاهب الإسلامية، وقد جمع فيه أسانيد هذا الحديث في كتب أهل السنّة.

[أبو بصير]: هذا والله العلم، قال عليه السلام: يا أبا محمّد، وإنّ عندنا الجامعة، وما يدريهم ما الجامعة؟ قال [أبو بصير] جعلت فداك، وما الجامعة؟ قال عليه السلام: صحيفة طولها سبعون ذراعًا بذراع رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وإملائه من خلق فيه، وخطّ عليّ عليه السلام بيمينه، فيها كلّ حلال وحرام وكلّ شيء يحتاج الناس إليه حتى الأرش في الخدش»[١].

وحول كتاب الجامعة، روي عن الإمام الصادق عليه السلام أنّه قال: **«ضلّ علم ابن شبرمة[٢] عند الجامعة، إملاء رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وخطّ عليّ عليه السلام بيده، إنّ الجامعة لم تدع لأحد كلامًا، فيها علم الحلال والحرام، إنّ أصحاب القياس طلبوا العلم بالقياس، فلم يزدادوا من الحقّ إلاّ بعدًا، إنّ دين الله لا يُصاب بالقياس»**[٣].

وفي بعض الأحاديث ما يؤكِّد أنّ كتاب الجامعة هو

---

(١) الكليني، محمّد، الكافي، ج١، ص ٢٣٩.

(٢) هو عبد الله بن شبرمة الكوفي من فقهاء أهل السُنَّة، كان قاضيًا للمنصور على سواد الكوفة (الحليّ، ابن داود، رجال بن داود، تحقيق محمّد صادق آل بحر العلوم، (لا،ط)، النجف، مطبعة الحيدرية، ١٩٧٢م، ص ١٩ و١٢٠).

(٣) الكليني، محمّد، الكافي، ج١، ص ٥٧.

إحدى علامات الإمامة، فعن الإمام الرضا عليه السلام: «للإمام علامات: يكون أعلم الناس، وأحكم الناس، وأتقى الناس، وأحلم الناس، وأشجع الناس، وأسخى الناس، وأعبد الناس... ويكون عنده الجامعة، وهي صحيفة طولها سبعون ذراعًا فيها جميع ما يحتاج إليه ولد آدم عليه السلام»[١].

لذا كان كتاب الجامعة من مواريث الأئمّة لبعضهم، فعن أمّ كلثوم بنت عليّ عليه السلام: «إنّ أمير المؤمنين لما ضربه ابن ملجم لعنه الله دعا ابنيه الحسن والحسين عليهما السلام وأوصى إليهما، وسلّم إلى الحسن خاتمه، وسلّم إليه ذا الفقار، وسلّم إليه الجفر الأبيض والأحمر، وسلّم إليه الجامعة، وسلّم إليه مصحف فاطمة»[٢].

٢- القيادة السياسيّة

ممّا لا شكّ فيه أنّ الإسلام دين لا يقتصر في تشريعه

(١) الصدوق، محمّد، الخصال، تحقيق علي أكبر الغفاريّ، (لا،ط)، قم، منشورات جماعة المدرسين، ١٤٠٣هـ، ص ٥٢٨.
(٢) العامليّ، يوسف، الدرّ النظيم، (لا،ط)، قم، مؤسسة النشر الإسلاميّ، (لا،ت)، ص ٤٢٢.

على حياة الفرد، بل ولا على المجتمع الصغير كالأسرة، والرحم، والجيرة، ونحوها، بل هو دين هدفه تنظيم حياة البشريّة بأجمعها، والتي لا يمكن أن تتحقّق إلاّ من خلال حكومة تطبِّق أحكام الشريعة الإسلاميّة، أمّا أن يترك الأمّة دون إرشادٍ إلى الحاكم، فيرد عليه ما في قصّة أحد أصحاب الإمام الصادق عليه السلام، وهو هشام ابن الحكم الذي قال: «**توجّهت إلى البصرة، فوصلت إليها يوم الجمعة، وأتيت إلى المسجد، فرأيت أنّ عمرو بن عبيد لبس شملة من الصوف الأسود، وشملة أخرى جعلها رداءً له، وصفَّ في دوره جمعٌ يسألون عنه المسائل العلميّة، فانفتحت الصفوف، وجلست أمامه مؤدّبًا، فسألت منه: أيها العالم، أنا رجل غريب أتأذن لي أن أسأل مسألة؟ فقال: نعم، فسألت هل لك عين؟ فقال: يا بني أيُّ سؤال هذا يسأل مني؟ قلت: إنّ مسألتي هذه. ثمّ قال: اسأل، وإن كانت مسألتك مسألة الحمقاء. فقلت: أجبني عن ذلك السؤال، فقال: نعم لي عين. فقلت: أيَّ شيء بها تراه؟ قال: الألوان**

والأشخاص. ثمّ سألت: هل لك أنف؟ قال: نعم فقلت: أيَّ شيء تعمل به؟ فقال: نستشم الرائحة به. ثمّ سألت: هل لك فم؟ قال: نعم فقلت: أيَّ شيء تعمل به؟ قال: ذقت به طعم الأغذية. ثمّ سألت هل لك قلب؟ قال: نعم. قلت: أي شيء تعمل به؟ قال: تميّزت به كلَّ ما يرود على الأعضاء المذكورة. فقلت: إنّ هذه الأعضاء بريئة غير محتاجة إليه أم لا؟ فقال: لا.

فقلت له: كيف تحتاج هذه الأعضاء إلى القلب؟ مع أنّ لها قوى مدركة حاسة للذوق والشمّ والبصر، وتكون صحيحة سليمة. فقال: يا بنيّ، لو حصل لي شكّ فيما بصرت وذقت وشممت رجعت إلى القلب، فيحصل لي اليقين، ويرتفع ويزول الشكّ. فقلتُ: فإذًا قلتَ: إنّ الباري تعالى خلق القلب لتميز شكّ الجوارح للخلق؟ فقال: نعم. فقلت: لا جرم فوجود القلب لازم لرفع شبهة الجوارح؟ فقال: نعم. فقلت: إنّكم تزعمون أنّ الله تعالى لم يُخلِ هذه الجوارح من إمام ترجع إليه لتميز الشكّ واليقين

والصحيح والسقيم منها، فكيف يمكن أن يُخليَ الخلائق الكثيرة من إمام يرجعون إليه عند الحيرة والشكّ؟ فسكت وصار متأمِّلاً، ثمّ بعد لحظة ارتفع رأسه، والتفت إليّ، وقال: هل أنت هشام بن الحكم؟...»(١).

وعودًا على بدء، فإنَّ الوصول إلى الهدف الإسلاميّ في تنظيم حياة الناس يحتاج إلى حاكم له مواصفات تتعلّق بأمور أهمّها أن يكون:

١- عالمًا بالتشريع الإسلاميّ حتى يحكم في ضوئه.

٢- مؤتمنًا على تطبيق التشريع في حياة الناس.

٣- كُفْءًا بالأمور التي تقتضيها الحكومة كمهارة الإدارة، والسياسة، والمعرفة الاقتصاديّة، والاجتماعيّة ونحو ذلك.

وسيرة العقلاء وبناؤهم، في حال توفّر هذه الشروط بحدّها الأدنى عند أشخاص عديدين، أن يتوجّه إلى أكملهم فيها.

وهنا يأتي سؤال حسّاس حول فعل رسول اللّه صلى الله عليه وآله وسلم ، المتعلّق

---

(١) البروجردي، علي، طرائف المقال، تحقيق مهدي الرجائي، ط١، قم، مكتبة آية اللّه العظمى المرعشي النجفي، ١٤١٠هـ، ج٢، ص٥٦٢-٥٦٣.

بالحاكم الذي يأتي بعده، هل ترك الأمّة دون أن يشير إليه، أو أشار إلى مواصفاته، أو حدّده وعيَّنه بالشخص؟

الحاكم بين المواصفات والتعيين

إذًا إنّ الحكمة الإلهيّة تقتضي، كي يطبَّق هدف الكمال الإنسانيّ على مستوى المجتمع، أن يكون هناك تحديد للوليّ الحاكم بعد رسول اللّه، ولكن هل يكون ذلك من خلال تحديد المواصفات العامّة للحاكم، أو بتعيينه؟

إنّ كون القيادة السياسيّة بعد رسول اللّه ليست هي العنوان الوحيد الذي يحتاج إليه المجتمع، بل يحتاج قبلها إلى المرجعيّة الدينيّة، وبما أنّ المرجعيّة الدينيّة تقتضي العصمة، وبالتالي تكون بالاختيار الإلهيّ، كان لا مناص من تعيين اللّه تعالى للمرجع الدينيّ بعد رسول اللّه صلى الله عليه وآله وسلم قائدًا سياسيًّا، فإنَّ علمه بالشريعة، في دائرة الكمال التامّ من خلال عصمته، ليس علمًا عاديًّا، وكذلك إنَّ ائتمانه على تطبيق الشريعة هو ائتمان عصمةٍ لا عدالة.

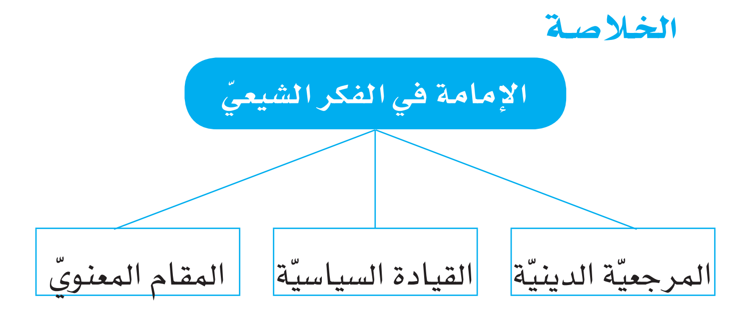
وبالتالي يكون للإمام بعد رسول اللّه صلى الله عليه وآله وسلم مرتبتا المرجعيّة الدينيّة، والقيادة السياسيّة.

٣- المقام المعنوي الخاصّ

إضافةً إلى مقامي المرجعيّة والقيادة السابقتين طرح الفكر الشيعيّ مقامًا آخر للإمام، هو مقام الإنسان الكامل، الذي يمتاز بعلاقة قرب خاصّة من اللّه تعالى، عبَّر عنها أهل البيت عليهم السلام بقولهم الوارد عنهم: «إنّ لنا مع الله حالات لا يسعها ملك مقرَّب..»(١).

كما أنّه يمتاز بعلم خاصّ، تجلّى من خلال كرامات عديدة، يأتي الحديث عن بعضها.

الخلاصة



(١) الخمينيّ، روح الله، الحكومة الإسلاميّة، ط٢، بيروت، مركز الإمام الخميني الثقافي، ١٤٢٩هـ، ص٥٦.

2

هل الأئمّة عليهم السلام معصومون؟ وما الدليل؟

من ثوابت الفكر الشيعيّ هو عصمة الأئمّة الاثني عشر، وقد استدلّوا على ذلك بأدلّة عقليّة ونقليّة.

الدليل العقليّ على عصمة الأئمّة

ذكرنا في كتاب «يسألونك عن الأنبياء» أنّ العقل يدلّ على لزوم عصمة النبيّ بتلقّي الوحي وتبليغه؛ وذلك لأنّ الخطأ في هذا المجال يضرّ بالهدف الإلهيّ، الذي يقتضي وصول الشريعة التي تعبِّر عن خريطة كمال الإنسان. وكذلك فإنّ انتخاب اللّه تعالى للنبيّ صلى الله عليه وآله وسلم، ليكون هو الموحى إليه، يقتضي بالدليل العقليّ عصمته من الذنوب؛ لأنّ صدور

معصية عن النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم يسقطه عن كونه القدوة، مع أنّ الاقتداء به أساسيٌّ في سلوك الناس مسار الكمال، فإنّ ذلك يقرِّبهم من طريق المعصية، بعد أن علموا أنّ المصطفى والمختار من الله تعالى سلكها، بل قد يزلزل عقيدة الناس بالنبيّ صلى الله عليه وآله وسلم؛ باعتبار أنَّ معصيته قد تشكّكهم بصدقه.

إنّ ما تقدَّم من دليل عقليّ على عصمة النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم يأتي هو نفسه على عصمة الإمام عليه السلام، صاحب المرجعيّة الدينيّة بعده، وذلك لأنّ الإمام عليه السلام، وإن كان انحصر تلقيه للشريعة بوساطة واحدة هي النبيّ محمّد صلى الله عليه وآله وسلم نفسه، إلاّ أنّه تلقّى الشريعة التي تحتاج إلى حفظ خاصّ باعتبارها لم تبلَّغ بكاملها، وبالتالي، وبما أنّ الهدف الإلهيّ لا يتحقّق إلاّ بإبلاغ الرسالة للناس، وبما أنّ الرسالة التشريعيّة محفوظة لدى الإمام عليه السلام، فإنّ العقل يقتضي أن يكون معصومًا في حفظ هذه الشريعة، وفي تبليغها للناس، وهذا يدلّ على اصطفاء خاصّ من الله تعالى للإمام عليه السلام، ومن هنا كانت الإمامة في الفكر الشيعيّ بانتخاب الله تعالى، وليست باختيار

النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم ضمن الهامش الذي أعطاه فيه حريّة الاختيار.

وبما أنّ الإمام عليه السلام يكون باختيار اللّه تعالى، فهذا يقتضي عصمته من الذنوب، باعتبار أنّ صدور المعصية عنه، وهو المختار من اللّه تعالى من بين الناس، سيوقعهم بالمحذورين السابقين:

١- تقريبهم من سلوك طريق المعصية، باعتبار أنّ المنتخب الخاصّ من اللّه يعصي، فكيف غيره!

٢- تزلزل عقيدتهم بما يبلِّغ من تشريع، باعتبار أنّ معصيته قد تشكّكهم بصدقه.

إذًا إنّ المرجعيّة الدينيّة للإمام عليه السلام ، والتي تعني دوره الحافظ للدين، هي المنطلق للدليل العقلي على عصمة الإمام عليه السلام .

الدليل النقليّ على عصمة الأئمّة

هناك العديد من الآيات القرآنيّة والأحاديث النبويّة دالّة على عصمة الأئمّة عليهم السلام ، نعرض منها:

أ - الآيات القرآنيّة الدالّة على عصمة الأئمّة عليهم السلام

١- قال تعالى: ﴿وَإِذِ ٱبْتَلَىٰٓ إِبْرَٰهِـۧمَ رَبُّهُۥ بِكَلِمَٰتٍ فَأَتَمَّهُنَّ ۖ قَالَ إِنِّى جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا ۖ قَالَ وَمِن ذُرِّيَّتِى ۖ قَالَ لَا يَنَالُ عَهْدِى ٱلظَّٰلِمِينَ﴾[1].

إنّ هذه الآية تثبت أنّ المناصب الإلهيّة، التي هي عهد من اللّه تعالى، ومنها الإمامة، لا تنال الظالمين، وقد أطلق اللّه تعالى قوله: ﴿ٱلظَّٰلِمِينَ﴾، ممّا يعني أنّ كلّ من ظلم نفسه لا يناله العهد الإلهيّ، أي لا تناله الإمامة، ومن الواضح أنّ الذي يذنب، ولو ذنبًا صغيرًا، هو ظالم لنفسه، وهذا يعني أنّ الذي يناله عهد اللّه لا بدّ أن يكون معصومًا عن أيّ ذنب.

وقد أثبتنا سابقًا أنّ إمامة الأئمّة عليهم السلام هي انتخاب واصطفاء وتنصيب من اللّه تعالى، وبالتالي فإنّها لا تنال إلّا المعصومين.

٢- قال تعالى: ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ ٱلرِّجْسَ أَهْلَ ٱلْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا﴾[2].

---

(١) سورة البقرة، الآية ١٢٤.
(٢) سورة الأحزاب، الآية ٣٣.

نُبيِّن معنى الآية من خلال نقطتين:

النقطة الأولى: أنَّ معنى الرجس هو القذر، وهو أعمّ من النجاسة، بدليل قوله تعالى: ﴿فَٱجۡتَنِبُواْ ٱلرِّجۡسَ مِنَ ٱلۡأَوۡثَٰنِ﴾[١]، وبالتالي فإنّ الذنب هو من ذلك الرجس.

وعليه، فإنّ اللّٰه تعالى يحدِّثنا في هذه الآية أنّه يريد أن يذهب عن أهل البيت عليهم السلام كلّ أنواع القذارة ومنها الذنب والإثم.

النقطة الثانية: إنّ الإرادة الإلهيّة على نوعين:

I- إرادة تكوينيّة، وهي التي لا يتخلّف فيها المراد عن الإرادة، إنّما لا بدَّ من تحقّقها بشكل قهريّ، بدون أيّ اختيار للمراد، كخلق الكون، حركة الكواكب...الخ.

II- إرادة تشريعيّة، وهي التي تصدر عن اللّٰه تعالى، ولكن يكون هناك اختيار لمن توجَّهت إليه في تحقيقها أو عدمه، كفرضَي الصلاة والصيام ونحوهما، فاللّٰه تعالى أراد من الإنسان أن يؤدِّيهما، إلاّ أنّه ترك له

(١) سورة الحج، الآية ٣٠.

هامش الاختيار، بحيث يمكنه أن يتخلَّف عن ذلك دون تأديتهما.

والسؤال: ما المراد بقوله تعالى: ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُذۡهِبَ عَنكُمُ ٱلرِّجۡسَ﴾[1]، هل الإرادة التكوينيّة أو التشريعيّة؟

الجواب: إنَّ الإرادة التشريعيّة الإلهيّة بأن يذهب اللّه الرجس لا تختصّ ببعض الناس دون البعض، بل هي مطلوبة من الجميع، فلا وجه لاختصاص أهل البيت عليهم السلام بطلب ذلك منهم، وعليه فإنّ ذلك يؤدّي إلى القول بأنّ المراد من الإرادة في الآية هي التكوينيّة التي لا تقبل التخلّف، كما قال تعالى: ﴿إِنَّمَآ أَمۡرُهُۥٓ إِذَآ أَرَادَ شَيۡـًٔا أَن يَقُولَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ﴾[2].

وما تقدَّم يعني أنّ اللّه تعالى بإرادته التكوينيّة يمنع صدور الذنب عن أهل البيت عليهم السلام، وهذا يعني أنّهم معصومون عن ارتكاب الذنوب. وقد تقدّم في كتاب «**يسألونك عن الأنبياء**» أنّ العصمة عبارة عن علم خاصّ موهوب من اللّه تعالى،

(١) سورة الأحزاب، الآية ٣٣.
(٢) سورة يس، الآية ٨٢.

يجعل المعصوم يرى الطاعة على جمالها، والمعصية على قبحها، وهذا ما يجعل صور الأشياء لديه صافية على واقعها، فهو لذلك لا يقدم على فعل المعصية أو ترك الطاعة، وتقدّم أنّ عدم إقدامه على ذلك هو باختياره لا بالقهر التكوينيّ.

بناءً عليه فإنّ الإرادة التكوينيّة لإذهاب الرجس عن أهل البيت عليهم السلام لا بدَّ أن تكون تعلَّقت بإفاضة ذلك العلم الخاصّ عليهم، بما يجعلهم معصومين باختيارهم، مع ضمانة عدم وقوعهم في المحذور.

من هم أهل البيت؟

في ضوء التفسير السابق للآية، فإنّ تفسير أهل البيت عليهم السلام ينحصر بما قاله الشيعة في المعصومين؛ لأنّ جميع المذاهب والفرق الإسلاميّة لا يدَّعون وجود العصمة في أيّ أحد من المنتسبين إلى النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم، فيبقى قول الشيعة المؤكِّدين على عصمة السيّدة فاطمة الزهراء عليها السلام والأئمّة الاثني عشر عليهم السلام.

ومع ذلك فقد ورد من طرق أهل السُّنّة ما يفيد أنّ

المقصود بأهل البيت عليهم السلام هم علي وفاطمة والحسن والحسين عليهم السلام.

ففي مسند أحمد بن حنبل أنّ النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم: «أدنى عليًّا وفاطمة، فأجلسهما بين يديه، وأجلس حسنًا وحسينًا كلّ واحد منهما على فخذه، ثمّ لفَّ عليهم ثوبه، (أو قال: كساءً)، ثمّ تلا هذه الآية: ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُذۡهِبَ عَنكُمُ ٱلرِّجۡسَ أَهۡلَ ٱلۡبَيۡتِ وَيُطَهِّرَكُمۡ تَطۡهِيرٗا﴾[1]، وقال صلى الله عليه وآله وسلم: اللهمّ هؤلاء أهل بيتي، وأهل بيتي أحقّ»[2].

وفي نصٍّ آخر ذكره ابن حنبل أيضًا عن أمّ سلمة (رض): «أنّ النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم كان في بيتها فأتته فاطمة ببرمة فيها خزيرة[3]، فدخلت عليه، فقال لها: ادعي زوجك وابنيك، قالت: فجاء عليّ، والحسين، والحسن، فدخلوا عليه، فجلسوا يأكلون من تلك الخزيرة، وهو على منامة

(١) سورة الأحزاب، الآية ٣٣.

(٢) ابن حنبل، أحمد، مسند أحمد بن حنبل، ج ٤، ص ١٠٧.

(٣) الخزيرة: لحم يقطع صغارًا ويصبّ عليه ماء كثير فإذا نضج ذر عليه الدقيق (ابن الأثير، مجد الدين، النهاية في غريب الحديث والأثر، تحقيق طاهر أحمد الزاوي ومحمود محمد الطناحي، ط٤، قم، مؤسسة اسماعيليان، ١٣٦٤هـ، ج٢، ص ٢٨).

له على دكان[١] تحته كساء له خيبري، قالت: وأنا أصلّي في الحجرة، فأنزل الله عزّ وجل هذه الآية ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ ٱلرِّجْسَ أَهْلَ ٱلْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا﴾[٢]، قالت: فأخذ فضل الكساء فغشّاهم به، ثمّ أخرج يده فألوى بها إلى السماء، ثمّ قال: اللهمّ هؤلاء أهل بيتي وخاصّتي فأذهب عنهم الرجس أهل البيت وطهِّرهم تطهيرًا، اللهمّ هؤلاء أهل بيتي وخاصّتي فأذهب عنهم الرجس أهل البيت وطهِّرهم تطهيرًا، قالت: فأدخلت رأسي...، فقلت: وأنا معكم يا رسول الله، قال: إنّك إلى خير، إنّك إلى خير»[٣].

وفي صحيح مسلم عن عائشة قالت: «خرج النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم غداة، وعليه مِرْطٌ[٤] مُرَجَّل[٥] من شعر أسود، فجاء الحسن بن علي فأدخله، ثمّ جاء الحسين فدخل معه، ثمّ جاءت

(١) الدكان: المكان المرتفع يجلس عليه.
(٢) سورة الأحزاب، الآية ٣٣.
(٣) ابن حنبل، أحمد، مسند أحمد بن حنبل، ج٦، ص ٢٩٢.
(٤) المرط هو الثوب غير المخيط (ابن منظور، محمد، لسان العرب، (لا،ط)، قم، نشر أدب الحوزة، ١٤٠٥هـ، ج٧، ص٤٠٢).
(٥) المرجل أي عليه نقوش (ابن الأثير، مجد الدين، النهاية في غريب الحديث والأثر، ج٤، ص٣١٥).

فاطمة فأدخلها، ثمّ جاء علي فأدخله ثمّ قال: ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا﴾[1]»[2].

وفي سنن الترمذيّ بسنده عن عمر ابن أبي سلمة، ربيب النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم: قال: «لمّا نزلت هذه الآية على النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم: ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا﴾[3]، في بيت أمّ سلمة، فدعا فاطمة وحسنًا وحسينًا، فجلَّلهم بكساء، وعليّ خلف ظهره، فجلّله بكساء، ثمّ قال: «اللهمّ هؤلاء أهل بيتي، فأذهب عنهم الرجس وطهِّرهم تطهيرًا، قالت أمّ سلمة: وأنا معهم يا نبيّ الله، قال: أنت على مكانك، وأنت على خير»[4].

وقد رُوي عن الحاكم في المستدرك بسنده عن أمّ سلمة أنّها قالت: «في بيتي نزلت هذه الآية: ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ

---

(١) سورة الأحزاب، الآية ٣٣.

(٢) النيسابوريّ، مسلم، صحيح مسلم، (لا،ط)، بيروت، دار الفكر، (لا،ت)، ج٧، ص ١٣٠.

(٣) سورة الأحزاب، الآية ٣٣.

(٤) الترمذيّ، محمّد، سنن الترمذيّ، تحقيق عبد الوهاب عبد اللطيف، ط٢، بيروت، دار الفكر، ١٤٠٣هـ، ج٥، ص ٣٠.

لِيُذۡهِبَ عَنكُمُ ٱلرِّجۡسَ أَهۡلَ ٱلۡبَيۡتِ﴾[(١)]، **قالت: فأرسل رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم إلى عليّ وفاطمة والحسن والحسين رضوان الله عليهم أجمعين، فقال صلى الله عليه وآله وسلم: اللهمّ، هؤلاء أهل بيتي، قالت أمّ سلمة: ما أنا من أهل البيت؟، قال صلى الله عليه وآله وسلم: إنّك على خير، وهؤلاء أهل بيتي، اللهمّ أهلي أحقّ»**، ثمّ علّق الحاكم على الحديث قائلاً: **«هذا حديث صحيح على شرط البخاريّ، ولم يخرجاه»**[(٢)].

وقد أحصى العلّامة هاشم البحرانيّ أكثر من سبعين رواية، ورد أكثرها من علماء أهل السُنّة، تدلّ على أنّ آية التطهير نزلت في حقّ محمّد وعليّ وفاطمة والحسن والحسين عليهم السلام [(٣)].

ومن طرق الشيعة، روى الصدوق بسنده عن أمير المؤمنين عليه السلام أنّ رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال: **«يا عليّ، هذه الآية**

---

(١) سورة الأحزاب، الآية ٣٣.

(٢) الحاكم النيسابوري، أبو عبد الله، المستدرك، تحقيق يوسف عبد الرحمن المرعشلي، (لا،ط)، (لا،م)، (لا،ن)، (لا،ت)، ج٢، ص٤١٦.

(٣) البحرانيّ، هاشم، غاية المرام، تحقيق علي عاشور، (لا،ط)، (لا،ن)، (لا،ت)، ص٢٨٧-٢٩٣.

نزلت فيك، وفي سبطيَّ، والأئمّة من ولدك، قلت: يا رسول وكم الأئمّة من بعدك؟ قال صلى الله عليه وآله وسلم: أنت يا عليّ، ثمّ ابناك الحسن، والحسين، وبعد الحسين علي ابنه، وبعد عليّ محمّد ابنه، وبعد محمّد جعفر ابنه، وبعد جعفر موسى ابنه، وبعد موسى عليّ ابنه، وبعد عليّ محمّد ابنه، وبعد محمّد عليّ ابنه، وبعد عليّ الحسن ابنه، وبعد الحسن ابنه الحجّة، من ولد الحسن، هكذا وجدت أساميهم مكتوبة على ساق العرش، فسألت الله عزّ وجلّ عن ذلك فقال: يا محمّد هم الأئمّة من بعدك، مطهّرون معصومون، وأعداؤهم ملعونون»[1].

ب - الأحاديث الدالّة على عصمة الأئمّة عليهم السلام

نكتفي من الأحاديث الدالّة على عصمة الأئمّة بحديثين: الأوّل حول عصمة أهل البيت عليهم السلام، والثاني حول عصمة الإمام عليّ عليه السلام.

(١) المجلسيّ، محمّد باقر، بحار الأنوار، تحقيق محمّد الباقر البهبودي ويحيى العابدين الزنجاني وكاظم الموسوي المياموي، ط٣، بيروت، دار إحياء التراث، ١٤٠٣هـ، ج٣٦، ص ٣٣٦.

الدليل على عصمة أهل البيت عليهم السلام

روى الحاكم في المستدرك بسنده عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أنّه قال: «**إنّي تارك فيكم الثقلين: كتاب الله، وأهل بيتي، وإنّهما لن يفترقا حتى يردا عليَّ الحوض**».

ثمّ علّق الحاكم بقوله: هذا حديث صحيح الإسناد على شرط الشيخين، ولم يخرجاه[(١)].

وروى أحمد بن حنبل في مسنده عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أنّه قال: «**إنّي تارك فيكم الثقلين أحدهما أكبر من الآخر، كتاب الله حبل ممدود من السماء إلى الأرض، وعترتي أهل بيتي وإنّهما لن يفترقا حتى يردا عليَّ الحوض**»[(٢)].

وفي ينابيع المودّة روى القندوزيّ بسنده عن الرسول الأكرم صلى الله عليه وآله وسلم: «**إنّي تارك فيكم الثقلين كتاب الله، وعترتي أهل بيتي، وإنّهما لن يفترقا حتى يردا عليَّ الحوض، وإنّكم لن تضلّوا إن اتبعتم واستمسكتم بهما**»[(٣)].

---

(١) الحاكم النيسابوري، أبو عبد الله، المستدرك، ج٣، ص ١٤٨.
(٢) ابن حنبل، أحمد، مسند أحمد بن حنبل، ج٣، ص١٤.
(٣) القندوزي، سليمان، ينابيع المودّة، ج١، ص١١٣.

وبصيغة أخرى روى القندوزيّ عن الرسول الأكرم صلى الله عليه وآله وسلم:

«إنّي تارك فيكم الثقلين: كتاب الله، وعترتي أهل بيتي، إن تمسكتم بهما لن تضلّوا، فانظروا كيف تخلفوني فيهما، وإنّهما لن يفترقا حتى يردا عليّ الحوض، نبّأني بذلك اللطيف الخبير»[١].

وحديث الثقلين هذا متواتر عند المسلمين، لا شكَّ في اعتباره وصحّة سنده، وهو دالٌّ على عصمة أهل العترة، «لأنّ من المحال أن يدعو النبيّ إلى أخذ الدين من مرجع بمثل هذا الجزم والحسم، ثمّ يتخلّل الخطأ بعض كلام ذلك المرجع»[٢].

الدليل على عصمة الإمام عليّ عليه السلام

روى الحاكم النسابوريّ في المستدرك عن النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم:

«رحم الله عليًّا، اللهمّ أدر الحقّ معه حيث دار»، ثمّ

---

(١) المصدر السابق، ص١١٩.

(٢) المطهّري، مرتضى، الإمامة، ترجمة جواد كسار، ص ٧٥.

قال: هذا حديث صحيح على شرط مسلم ولم يخرجاه[١].

وباعتباره دعاءً من النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم، وأنّه مستجاب حتمًا يكون الإمام عليّ عليه السلام حيثما يدور مع الحقّ، وبالتالي هو معصوم.

وورد عن الخطيب البغداديّ في تاريخ بغداد عن ابن ثابت موسى أبي ذرّ قال: دخلت على أمّ سلمة، فرأيتها تبكي وتذكر عليًّا، وقال: سمعت رسول اللّه صلى الله عليه وآله وسلم يقول: عليّ مع الحقّ، والحقّ مع عليّ، ولن يفترقا حتى يردا عليّ الحوض يوم القيامة»[٢].

---

(١) الحاكم النيسابوريّ، أبو عبد اللّه، المستدرك، ج٣، ص١٢٤. الترمذي، محمّد، سنن الترمذي، تحقيق عبد الوهاب عبد اللطيف، ط٢، بيروت، دار الفكر، ١٤٠٣هـ، ج٥، ص٢٩٧.

(٢) الخطيب البغدادي، أحمد، تاريخ بغداد، تحقيق مصطفى عبد القادر عطا، ط١، بيروت، دار الكتب العلمية، ١٤١٧هـ، ج١٤، ص ٣٢٢. ابن عساكر، علي، تاريخ مدينة دمشق، تحقيق علي شيري، (لا،ط)، بيروت، دار الفكر، ١٤١٥هـ، ج٤٢، ص٤٤٩. الزمخشريّ، ربيع الأبرار ونصوص الأخبار، تحقيق عبد الأمير مهنا، ط١، بيروت، الأعلميّ، ١٩٩٢م، ج٢، ص١٧٣. وقد ورد المضمون نفسه في الكثير من المصادر الشيعيّة (أنظر: مرتضى، جعفر، الصحيح من سيرة الإمام علي عليه السلام، ط١، قم، مكتب الإعلام الإسلاميّ، ١٤٣٠هـ، ج٤، ص٢٣٦.

3

ما هي حدود الغلوّ والتقصير في الأئمّة عليهم السلام؟

قال اللّه تعالى: ﴿لَا تَغْلُواْ فِي دِينِكُمْ﴾[1].

إنّ معنى الغلوّ، بحسب تعريف الأصفهانيّ في المفردات، هو «تجاوز الحدّ»[2]، وفي المصباح المنير: غلى في الدين غلوًّا... تصلّب وتشدّد حتى جاوز الحدّ[3].

الغلوّ في الأديان السابقة

أكّد القرآن الكريم حدوث الغلوّ في الدينين اليهوديّ

(١) سورة النساء، الآية ١٧١.

(٢) الراغب الأصفهاني، الحسين، المفردات، ط٢، (لا،م)، دفتر ناشر الكتاب، ١٤٠٤هـ، ص٦١٣.

(٣) الفيوميّ، أحمد، المصباح المنير، ص٤٥٢.

والمسيحيّ، والذي وصل إلى حدّ تأليه بعض الناس، قال تعالى: ﴿وَقَالَتِ ٱلْيَهُودُ عُزَيْرٌ ٱبْنُ ٱللَّهِ وَقَالَتِ ٱلنَّصَـٰرَى ٱلْمَسِيحُ ٱبْنُ ٱللَّهِ ۖ ذَٰلِكَ قَوْلُهُم بِأَفْوَٰهِهِمْ ۖ يُضَـٰهِـُٔونَ قَوْلَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِن قَبْلُ ۚ قَـٰتَلَهُمُ ٱللَّهُ ۚ أَنَّىٰ يُؤْفَكُونَ﴾[١].

المراد من عُزير هو من يسميه اليهود عزرا، وهو الذي، بحسب بيان العلاّمة الطباطبائيّ، «جدّد دين اليهود وجمع أسفار التوراة، وكتبها بعد ما افتقدت في غائلة بخت نصر، ملك بابل، الذي فتح بلادهم، وخرّب هيكلهم، وأحرق كتبهم، وقتل رجالهم، وسبى نساءهم وذراريهم، والباقين من ضعفائهم، وسيّرهم معه إلى بابل، وبقوا هناك ما يقرب من قرن، ثمّ لمّا فتح «كورش»، ملك «إيران»، بابل، شفع لهم عنده عزرا، وكان ذا وجه عنده، فأجاز له أن يعيد اليهود إلى بلادهم، وأن يكتب لهم التوراة ثانيًا بعد ما افتقدوا نسخها... ولما نالهم من خدمته عظَّموا قدره، واحترموا أمره، وسمّوه ابن الله»[٢].

والمراد من ﴿يُضَـٰهِـُٔونَ قَوْلَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِن قَبْلُ ۚ﴾،

---

(١) سورة التوبة، الآية ٣٠.

(٢) الطباطبائيّ، محمّد حسين، تفسير الميزان، ، ط٥، بيروت، الأعلمي، ١٩٨٣م، ج٩، ص٢٤٣.

أي أنّهم شاكلوا مَنْ تقدّمهم من الأمم الكافرة، «**وهم الوثنيّون عبدة الأصنام، فإنّ من آلهتهم مَنْ هو إلهٌ أب، ومن هو إلهٌ ابن، ومن هي إلهةٌ أُمّ إله، أو زوجة إله، وكذا القول بالثالوث، ممّا كان دائرًا بين الوثنيّين من الهند، والصين، ومصر القديم[1]، وغيرهم**»[2].

وقال تعالى: ﴿لَّقَدْ كَفَرَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْمَسِيحُ ٱبْنُ مَرْيَمَ ۚ﴾[3]، لذا خاطب الله تعالى أهل الكتاب قائلاً: ﴿يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ لَا تَغْلُواْ فِى دِينِكُمْ وَلَا تَقُولُواْ عَلَى ٱللَّهِ إِلَّا ٱلْحَقَّ ۚ إِنَّمَا ٱلْمَسِيحُ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ رَسُولُ ٱللَّهِ وَكَلِمَتُهُۥٓ أَلْقَىٰهَآ إِلَىٰ مَرْيَمَ وَرُوحٌ مِّنْهُ ۖ فَـَٔامِنُواْ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦ ۖ وَلَا تَقُولُواْ ثَلَٰثَةٌ ۚ ٱنتَهُواْ خَيْرًا لَّكُمْ ۚ إِنَّمَا ٱللَّهُ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ ۖ سُبْحَٰنَهُۥٓ أَن يَكُونَ لَهُۥ وَلَدٌ ۘ لَّهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ ۗ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ وَكِيلًا﴾[4].

---

(١) هكذا وردت في نص العلاّمة الطباطبائيّ، والأولى أن يقال: القديمة.

(٢) الطباطبائيّ، محمّد حسين، تفسير الميزان، ج٩، ص٢٤٤.

(٣) سورة المائدة، الآية ١٧.

(٤) سورة النساء، الآية ١٧١.

الغلوّ في عصر النبيّ محمّد صلى الله عليه وآله وسلم

لم ينج الإسلام من الغلوّ منذ عهده الأوّل، فقد روى الشيخ الكشيّ حديثًا مرفوعًا إلى الإمام الصادق عليه السلام، «**أنّه جاء رجل إلى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فقال: السلام عليك يا ربي، فقال صلى الله عليه وآله وسلم: ما لك، لعنك الله، ربّي وربّك الله**»[1].

الغلوّ في عصر الإمام عليّ عليه السلام

عن الإمامين الصادق والباقر عليهما السلام قالا: «**إنّ أمير المؤمنين عليه السلام لمّا فرغ من أهل البصرة أتاه سبعون رجلاً من الزط[2]، فسلّموا عليه وكلّموه بلسانهم، فردّ عليهم بلسانهم، ثمّ قال لهم: إنّي لست كما قلتم، أنا عبد الله مخلوق، فأبَوا عليه، وقالوا: أنت هو، فقال لهم: لئن لم تنتهوا، وترجعوا عمّا قلتم فيّ، وتتوبوا إلى الله عزّ وجلّ لأقتلنّكم، فأبوا أن يرجعوا ويتوبوا، فأمر أن تحفر لهم آبار، فحفرت، ثمّ خرق بعضها إلى بعض، ثمّ قذفهم، ثمّ**

---

(١) الطوسيّ، محمّد، اختيار معرفة الرجال (رجال الكشيّ)، (لا،ط)، قم، مؤسّسة آل البيت، (لا،ت)، ج٢، ص٥٨٩.

(٢) الزط قوم من السودان والهند (المجلسيّ، محمّد تقي، روضة المتقين، ج٧، ص٨٤).

خمّر رؤوسهم، ثمّ ألهبت النار في بئر منها ليس فيها أحد منهم، فدخل الدخان عليهم فيها فماتوا»[١].

الغلوّ في عصر الأئمّة من ولد أمير المؤمنين عليه السلام

١- روى الشيخ الكشيّ قدس سره حديثًا صحيحًا، ذكر أنّ رجلاً حدّث الإمام الرضا عليه السلام عن يونس بن ظبيان أنّه قال:

«كنت في بعض الليالي، وأنا في الطواف، فإذا نداء من فوق رأسي: يا يونس إنّي أنا الله لا إله إلاّ أنا، فاعبدني، وأقم الصلاة لذكري، فرفعت رأسي، فإذا أبو الحسن عليه السلام [أي الإمام الرضا عليه السلام][٢] فغضب أبو الحسن عليه السلام...ثمّ قال للرجل: «اخرج عنّي، لعنك الله، ولعن من حدّثك، ولعن يونس بن ظبيان ألف لعنة تتبعها ألفُ لعنة، كلّ لعنة منها تبلغك قعر جهنّم، أشهد ما ناداه إلاّ الشيطان»[٣].

---

(١) الكلينيّ، محمّد، الكافي، ج٧، ص ٢٥٩-٢٦٠ (مع الإشارة إلى أنّ هذه الرواية ضعيفة السند).

(٢) يبدو من الرواية أنّ الرجل الذي يحكي القصّة مقتنع بها.

(٣) المجلسيّ، محمّد باقر، بحار الأنوار، ج٢٥، ص ٢٦٤.

٢- روى الشيخ الكشيّ عن سهل بن زياد الادمي، قال: «كتب بعض أصحابنا إلى أبي الحسن العسكريّ عليه السلام: جعلت فداك يا سيديّ، إنّ عليّ بن حسكة يدّعي أنّه من أوليائك، وأنّك أنت الأوّل القديم، وأنّه بابك ونبيّك، أمرته أن يدعو إلى ذلك، ويزعم أنّ الصلاة والزكاة والحجّ والصوم كلّ ذلك معرفتك، ومعرفة من كان في مثل حال ابن حسكة فيما يدَّعي من البابية والنبوّة، فهو مؤمن كامل، سقط عنه الاستعباد بالصلاة والصوم والحجّ، وذكر جميع شرائع الدين أنّ معنى ذلك كلّه ما ثبت لك، ومال الناس إليه كثيرًا، فإن رأيت أن تمنّ على مواليك بجواب في ذلك تنجيهم من الهلكة. قال: فكتب عليه السلام: كذب ابن حسكة عليه لعنة الله، وبحسبك أنّي لا أعرفه في مواليَّ، ماله لعنه الله، فوالله ما بعث الله محمّدًا، والأنبياء قبله، إلاّ بالحنيفيّة، والصلاة، والزكاة، والصيام، والحجّ، والولاية، وما دعا محمّد صلى الله عليه وآله وسلم إلاّ إلى الله، وحده لا شريك له. وكذلك نحن الأوصياء من ولده عبيد الله، لا نشرك به شيئًا، إن

أطعناه رحمنا، وإن عصيناه عذبنا، مالنا على الله من حجّة، بل الحجّة لله عزّ وجل علينا وعلى جميع خلقه، أبرأ إلى الله ممّن يقول ذلك ...، فاهجروهم لعنهم الله...»[١].

بعد هذا العرض لوقوع الغلوّ في الإسلام، وما سبقه من أديان، ندخل في تحديد الغلوّ، والموقف منه.

حدُّ الغلوّ

يُستفاد من النصوص الدينيّة أنّ الغلوّ يتحقّق في الحالات الآتية:

١- ادّعاء الألوهيّة للإنسان

قال تعالى: ﴿يَٰٓأَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ لَا تَغۡلُواْ فِي دِينِكُمۡ وَلَا تَقُولُواْ عَلَى ٱللَّهِ إِلَّا ٱلۡحَقَّۚ إِنَّمَا ٱلۡمَسِيحُ عِيسَى ٱبۡنُ مَرۡيَمَ رَسُولُ ٱللَّهِ وَكَلِمَتُهُۥٓ أَلۡقَىٰهَآ إِلَىٰ مَرۡيَمَ وَرُوحٞ مِّنۡهُۖ فَـَٔامِنُواْ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦۖ وَلَا تَقُولُواْ ثَلَٰثَةٌۚ ٱنتَهُواْ خَيۡرٗا لَّكُمۡۚ إِنَّمَا ٱللَّهُ إِلَٰهٞ وَٰحِدٞۖ سُبۡحَٰنَهُۥٓ أَن يَكُونَ لَهُۥ وَلَدٞۘ لَّهُۥ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِۗ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ وَكِيلٗا﴾[٢].

---

(١) الطوسي، محمّد، اختيار معرفة الرجال، تحقيق مهدي الرجائي، (لا،ط)، قم، مؤسسة آل البيت، ١٤٠٤هـ، ج٢، ص٨٠٤.

(٢) سورة النساء، الآية ١٧١.

وعن الإمام الرضا عليه السلام: «إنّ من تجاوز بأمير المؤمنين العبوديّة فهو من المغضوب عليهم ومن الضالين»[١].

٢- ادّعاء الخالقيّة المستقلّة للإنسان

عن الإمام الصادق عليه السلام: «اجعلونا مخلوقين، وقولوا فينا ما شئتم، فلن تبلغوا»[٢].

وقيّدنا الخالقيّة بالمستقلّة، لأنّه لا مانع من نسبة الخلق، بمعنى تشكيل صورة مادّة سابقة بقدرة اللّه تعالى وإذنه، كما ورد عن النبيّ عيسى عليه السلام قوله في القرآن الكريم: ﴿أَخۡلُقُ لَكُم مِّنَ ٱلطِّينِ كَهَيۡـَٔةِ ٱلطَّيۡرِ﴾[٣].

٣- ادّعاء الربوبيّة المستقلّة للإنسان

عن الإمام الصادق عليه السلام: «اجعل لنا ربًّا نؤوب إليه، وقولوا فينا ما شئتم»[٤].

(١) الطبرسيّ، أحمد، الاحتجاج، (لا،ط)، النجف الأشرف، دار النعمان، ١٣٨٦هـ، ج٢، ص٢٣٣.
(٢) المجلسيّ، محمّد باقر، بحار الأنوار، ج٢٥، ص ٢٧٩.
(٣) سورة آل عمران، الآية ٤٩.
(٤) المجلسيّ، محمّد باقر، بحار الأنوار، ج٢٥، ص٢٨٣.

ومعنى الربوبيّة: التدبير، وقيّدناها بالمستقلّة لجواز نسبة الربّ غير المستقلّ إلى الإنسان، كما يقال: ربُّ العمل، ربُّ البيت، ونظيره قوله تعالى عن الملائكة: ﴿فَالْمُدَبِّرَاتِ أَمْرًا﴾[1]، فهي مدبِّرة إلاّ أنّ تدبيرها غير مستقلّ عن اللّه تعالى، إنّما هو بإرادته وإذنه.

ومن الروايات التي تنهى عن الاعتقاد بالربوبيّة المستقلّة، والتدبير كذلك، ما ورد عن الإمام الرضا عليه السلام في دعائه: **«اللهمّ إنّي أبرأ إليك من الذين قالوا فينا ما لم نقله في أنفسنا...اللهمّ من زعم أنّا أرباب، فنحن منه براء، ومن زعم أنّ إلينا الخلق وعلينا الرزق فنحن إليك منه براء كبراءة عيسى عليه السلام من النصارى، اللهم إنّا لم ندعهم إلى ما يزعمون، فلا تؤاخذنا بما يقولون...»**[2].

٤- القول بعد بعثة النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم بأنّ أحدًا بعده نبيّ

ورد عن الإمام الصادق عليه السلام أنّه قال: **«من قال: بأنّنا**

---

(١) سورة النازعات، الآية ٥.

(٢) الصدوق، محمّد، الاعتقادات في دين الإماميّة، تحقيق عصام عبد السيد، ط٢، بيروت، دار المفيد، ١٤١٤هـ، ص٩٩.

أنبياء، فعليه لعنة الله، ومن شكّ في ذلك فعليه لعنة الله[١]**، وورد عنه عليه السلام أنّه قال لأحد أصحابه: «يا أبا عبد الله، أبرأ ممّن قال إنّا أنبياء»**[٢].

وورد عن خالد بن نجيح أنّه قال: **«دخلت على أبي عبد الله عليه السلام [الإمام الصادق]، وعنده خلق، فجلست ناحية، وقلت في نفسي: ما أغفلهم عند من يتكلّمون. فناداني: إنا والله عباد مخلوقون، لي ربّ أعبده، إن لم أعبده عذّبني بالنار. قلت: لا أقول فيك إلاّ قولك في نفسك. قال: اجعلونا عبيدًا مربوبين، وقولوا فينا ما شئتم إلاّ النبوّة»**[٣].

٥- اعتقاد سقوط التكليف بالمعرفة

تقدّمت رواية الإمام العسكريّ عليه السلام، التي ذُكر فيها أنّ علي ابن حسكة يزعم أنّ الصلاة، والزكاة، والحجّ، والصوم

(١) المجلسي، محمد باقر، بحار الأنوار، ج٢٥، ص٢٩٦.
(٢) الطوسي، محمّد، اختيار معرفة الرجال، ج٢، ص ٥١٥.
(٣) الشاهرودي، علي، مستدرك سفينة البحار، تحقيق حسن بن علي النمازي، (لا،ط)، قم، مؤسسة النشر الإسلامي، ١٤١٩هـ، ج٧، ص ٥٢.

كلّ ذلك معرفة الإمام»[١]، وبالتالي كان هذا الاعتقاد يؤدّي إلى الاعتقاد بسقوط التكليف عن العارف بالإمام، وبالتالي تركه عمليًّا، من هنا ورد عن الإمام الصادق عليه السلام: «**الغالي اعتاد ترك الصلاة والزكاة والصيام والحجّ...**»[٢].

وقد ذكر العلاّمة المجلسيّ بعض الأمور الأخرى من محقِّقات الغلوّ، فقال: «**إنّ الغلوّ في النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم والأئمّة عليهم السلام إنّما يكون بالقول بألوهيّتهم أو بكونهم شركاء له تعالى في المعبوديّة، أو في الخلق، أو الرزق، أو أنّ الله تعالى حلّ فيهم، أو اتّحد بهم، أو أنّهم يعلمون الغيب بغير وحي، أو إلهام من الله تعالى، أو بالقول في الأئمّة عليهم السلام أنّهم كانوا أنبياء، أو القول إنّ معرفتهم تغني عن جميع الطاعات، ولا تكليف معها بترك المعاصي، والقول بكلّ منها إلحاد وكفر، وخروج عن الدين كما دلّت عليه الأدلّة العقليّة، والآيات، والأخبار...**»[٣].

(١) الطوسي، محمّد، اختيار معرفة الرجال، ج٢، ص٨٠٤.
(٢) المجلسيّ، محمّد باقر، بحار الأنوار، ج٢٥، ص ٢٦٥.
(٣) المجلسيّ، محمّد باقر، بحار الأنوار، ج٢٥، ص٣٤٦.

موقف الأئمّة عليهم السلام من الغلوّ

I- واجه أئمّة أهل البيت عليهم السلام الغلوّ والمغالين بقوّة وشدّة تظهران من النصوص الآتية:

ورد عن الإمام العسكريّ عليه السلام: «إنّ أبا الحسن الرضا عليه السلام قال: إنّ من تجاوز بأمير المؤمنين عليه السلام العبوديّة، فهو من المغضوب عليهم ومن الضالّين. وقال أمير المؤمنين عليه السلام: لا تتجاوزوا بنا العبوديّة، ثمّ قولوا فينا ما شئتم ولن تبلغوا، وإيّاكم والغلوّ كغلوّ النصارى، فإنّي بريء من الغالين. فقام إليه رجل فقال: يا بن رسول الله، صف لنا ربّك! فإنّ من قبلنا قد اختلفوا علينا. فوصفه الرضا عليه السلام أحسن وصف، ومجّده ونزّهه عمّا لا يليق به تعالى. فقال الرجل: بأبي أنت وأمّي يا بن رسول الله، فإنّ معي من ينتحل موالاتكم، ويزعم أنّ هذه كلّها من صفات عليّ عليه السلام، وأنّه هو الله ربّ العالمين. فلمّا سمعها الرضا عليه السلام، ارتعدت فرائصه، وتصبّب عرقًا، وقال: سبحان الله عمّا يشركون! سبحانه عمّا يقول الكافرون علوًّا كبيرًا! أوليس عليّ كان آكلاً في الآكلين، وشاربًا في

الشاربين، وناكحًا في الناكحين، ومحدِّثًا في المحدّثين. وكان مع ذلك مصلِّيًا خاضعًا، بين يدي الله ذليلاً، وإليه أوّاهًا منيبًا. أفمن هذه صفته يكون إلهًا؟! فإن كان هذا إلهًا فليس منكم أحد إلاّ وهو إله؛ لمشاركته له في هذه الصفات الدالات على حدث كلّ موصوف بها»[1].

II- ورد عن الإمام الصادق عليه السلام: «لعن الله عبد الله بن سبأ، أنّه ادّعى الربوبيّة في أمير المؤمنين، وكان، والله، أميرُ المؤمنين، عبدًا لله طائعًا، ويل لمن كذّب علينا، وإنّ قومًا يقولون فينا ما لا نقوله في أنفسنا، نبرأ إلى الله منهم، نبرأ إلى الله منهم»[2].

وعنه عليه السلام: «لعن الله المغيرة بن سعيد، إنّه كان يكذب على أبي، فأذاقه حرّ الحديد، لعن الله من قال فينا ما لا نقوله في أنفسنا، لعن الله من أزالنا عن العبوديّة لله الذي خلقنا، وإليه مآبنا ومعادنا، وبيده نواصينا»[3].

---

(١) الطبرسيّ، أحمد، الاحتجاج، ج٢، ص٢٣٣-٢٣٤.
(٢) الطبرسي، أحمد، خاتمة المستدرك، ط١، قم، مؤسسة آل البيت لإحياء التراث، ١٤١٦هـ، ج٤، ص١٤٣.
(٣) الفضلي، عبد الهادي، أصول الحديث، ط٣، بيروت، مؤسسة أمّ القرى، ١٤٢١هـ، ص١٤٧.

تنبيه الأئمّة عليهم السلام إلى عدم التقصير

نلاحظ في بيانات أئمّة أهل البيت عليهم السلام، الرافضة للغلوّ، الحذر من الاسترسال في نفي الكمالات بما يؤدّي إلى التقصير في معرفتهم، وبيان كمالاتهم، من هنا ورد عن الإمام الباقر عليه السلام: «يا أبا حمزة، لا تضعوا عليًّا دون ما وضعه الله، ولا ترفعوه فوق ما رفعه الله»[1].

وفي رواية عن الإمام الرضا عليه السلام يحذّر فيها من الغلوّ والتقصير معًا، فعنه عليه السلام: «قال إبراهيم بن أبي محمود: فقلت للرضا: يا بن رسول الله إنّ عندنا أخبارًا في فضائل أمير المؤمنين عليه السلام، وفضلكم أهل البيت، وهي من رواية مخالفيكم، ولا نعرف مثلها عندكم، أفندين بها؟ فقال: يا بن أبي محمود، لقد أخبرني أبي عن أبيه عن جدّه عليه السلام أنَّ رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال: من أصغى إلى ناطق فقد عبده، فإن كان الناطق عن الله عزّ وجلّ، فقد عبد الله، وإن كان الناطق عن إبليس فقد عبد إبليس، ثمّ قال الرضا عليه السلام: يا بن أبي

(١) المجلسيّ، محمّد باقر، بحار الأنوار، ج٢٥، ص ٢٨٣.

محمود، إنّ مخالفينا وضعوا أخبارًا في فضائلنا، وجعلوها على ثلاثة أقسام: أحدها الغلوّ، وثانيها التقصير في أمرنا، وثالثها التصريح بمثالب أعدائنا، فإذا سمع الناس الغلوّ فينا كفّروا شيعتنا، ونسبوهم إلى القول بربوبيّتنا، وإذا سمعوا التقصير اعتقدوه فينا، وإذا سمعوا مثالب أعدائنا بأسمائهم ثلبونا بأسمائنا، وقد قال الله عزّ وجلّ: ﴿وَلَا تَسُبُّوا۟ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ فَيَسُبُّوا۟ ٱللَّهَ عَدْوًۢا بِغَيْرِ عِلْمٍ﴾[1]، **يا بن أبي محمود إذا أخذ الناس يمينًا وشمالاً فالزم طريقتنا؛ فإنّه من لزمنا لزمناه، ومن فارقنا فارقناه»**[2].

بسبب ما مرَّ كثرت الروايات المعقِّبة بعد النهي عن الغلوّ بفتح المجال للحديث عن فضائلهم، وذلك بعبارات عديدة منها:

عن أمير المؤمنين عليه السلام: **«إيّاكم والغلوّ فينا، قولوا: إنّا عبيد مربوبون وقولوا في فضلنا ما شئتم»**[3].

(١) سورة الأنعام، الآية ١٠٨.
(٢) الصدوق، محمّد، عيون أخبار الرضا، (لا،ط)، بيروت، مؤسسة الأعلمي، ١٤٠٤هـ، ج٢، ص ٢٧٢.
(٣) المجلسيّ، محمّد باقر، بحار الأنوار، ج٢٥، ص ٢٧٠.

وعنه عليه السلام: «اعلم يا أبا ذرّ، أنّا عبيد الله عزّ وجلّ، وخليفته على عباده، لا تجعلونا أربابًا، وقولوا في فضلنا ما شئتم؛ فإنّكم لا تبلغون كنه ما فينا، ولا نهايته؛ فإنّ الله عزّ وجلّ قد أعطانا أكبر وأعظم ممّا يصفه واصفكم، أو يخطر على قلب أحدكم، فإذا عرفتمونا هكذا، فأنتم المؤمنون»[١].

وعنه عليه السلام: «أنا أمير كلّ مؤمن ومؤمنة ممّن مضى ومن بقي، وأُيِّدت بروح العظمة، وإنّما أنا عبد من عبيد الله، لا تسمّونا أربابًا، وقولوا في فضلنا ما شئتم، فإنّكم لن تبلغوا من فضلنا كنه ما جعله الله لنا، ولا معشار العشر»[٢].

وعن الإمام الصادق عليه السلام أنّه قال لصاحبه: «لا ترفع البناء فوق طاقته فينهدم، اجعلونا مخلوقين، وقولوا فينا ما شئتم فلن تبلغوا»[٣].

(١) المصدر السابق، ج٢٦، ص ٢.
(٢) المصدر السابق، ص ٦.
(٣) المصدر السابق، ج٢٥، ص ٢٧٩.

ضابطة ردّ الحديث

وقد وضع أهل البيت عليهم السلام ضابطة لردّ ما ينقل عنهم، وهي أن يستحيل كونه في المخلوق، أمّا في حال إمكان وجوده في المخلوق فقد دعا أهل البيت عليهم السلام في حال استغرابه إلى عدم رفضه وجحوده، وأمروا بإرجاعه إليهم عليهم السلام، فقد ورد عن الإمام الصادق عليه السلام: «ما جاءكم منّا ممّا يجوز أن يكون في المخلوقين، ولم تعلموه، ولم تفهموه، فلا تجحدوه وردّوه إلينا، وما جاءكم عنّا ممّا لا يجوز أن يكون[1] في المخلوقين فاجحدوه ولا تردّوه إلينا»[2].

دعوة الأئمّة إلى الوسطيّة

إنّ الناتج من النهي عن الغلوّ والتقصير هو أن يكون المؤمن وسطيًّا في نظرته إلى أهل البيت عليهم السلام، وهذا ما عبَّر عنه الإمام الباقر عليه السلام بقوله: «يا معشر شيعة آل

---

(١) في المصدر «تكون».
(٢) المجلسيّ، محمّد باقر، بحار الأنوار، ج٢٥، ص ٣٦٤.

محمّد، كونوا النمرقة[١] الوسطى يرجع إليكم الغالي ويلحق بكم التالي»[٢].

إنَّ معنى النُمرُقة - بضم النون والـراء أو كسرهما- الوسادة، ومن الواضح أنّ الوسادة المنخفضة جدًا، أو المرتفعة كذلك لا تصلح للاستقرار، إنّما يصلح لذلك الوسادة الوسطى.

أمّـا معنى الحديث فقد فسَّره ابن أبي الحديد بقوله: **«والمعنى أنَّ آل محمّد صلى الله عليه وآله وسلم هم الأمر الأوسط بين الطرفين المذمومين، فكلّ من جاوزهم فالواجب أن يرجع إليهم، وكلّ من قصَّر عنهم، فالواجب أن يلحق بهم.**

وبالمعنى نفسه ورد عن الإمام عليّ عليه السلام حديث صرَّح بالتقصير بعد الغلوّ وهـو: **«...تلك خيار أمّـة محمّد صلى الله عليه وآله وسلم النُمرُقة الوسطى يرجع إليهم الغالي، وينتهي إليهم المقَصّر»**[٣].

---

(١) أي الوسادة.

(٢) المجلسيّ، محمّد باقر، بحار الأنوار، ج٦٥، ص ٧٨.

(٣) المصدر السابق، ج٦٦، ص ٧٥.

4

هل للأئمّة عليهم السلام ولاية تكوينيّة؟ وما الدليل؟

قبل الإجابة عن هذا السؤال لا بدّ من تحديد معنى الولاية التكوينيّة.

الولاية التكوينيّة في اللغة

١- الولاية

«الوِلاية» بكسر الواو، و«الوَلاية» بفتحها، و**«الوالي»**، و**«المولى»**، و**«الوليّ»**، و**«الموالاة»** وما شابهها لها مادّة واحدة هي (و ل ي)، وقد انتشرت في القرآن الكريم اشتقاقات من هذه المادّة أحصيت بـ ٢٣٦ كلمة، ١٢٤ منها وردت اسمًا، و١١٢ منها وردت فعلاً.

وأصل معنى «**الولاية**» هو القرب، بأن يكون شيء إلى جانب شيء آخر بدون فاصل، فحينما نقول: زيد في الصفّ الأوّل، يليه سامر، يليه عصام، فإنّ المعنى هو قرب الثاني من الأوّل، والثالث من الثاني، بدون وجود فاصل بينهما، وهكذا حينما نكتب: «**اقرأ ما يلي**»: فإن ما نطلب قراءته لا بدّ أن يكون الأقرب إلى كلمة «**يلي**» بدون فاصل، وعلى هذا الأساس، فإنّ معنى «**الوليّ**» هو الأقرب، فوليُّ الميّت هو أقرب الناس إليه، وكذا فإنّ «**والي**» المدينة هو أقرب الناس إلى إدارتها، ولذا سمّيت الدائرة الأقرب إلى الحاكم في سلطته «**ولاية**».

وقد لاحظ بعض العلماء في عدد من مشتقّات الولاية أنّه يتضمّن معنى آخر، هو نوع من السلطة، فوليّ الميّت هو أقرب الناس إليه، وهو أيضًا صاحب الأمر في تجهيزه، وشؤونه التدبيريّة الأخرى، ووالي المدينة هو أقرب الناس إلى إدارتها، وهو صاحب السلطة في ذلك.

قال العلاّمة الطباطبائيّ: «**وإذا فرضت الولاية - وهي**

القرب الخاصّ- في الأمور المعنويّة كان لازمها أنّ للوليّ ممّن وليه ما ليس لغيره إلاّ بواسطته، فكلّ ما كان من التصرُّف في شؤون من وليّه ممّا يجوز أن يخلفه فيه غيره، فإنّما يخلفه الوليّ لا غير، كوليّ الميّت، فإنّ التركة التي كان للميّت أن يتصرّف فيها بالملك، فإنّ لوارثه الوليّ أن يتصرّف فيها بولاية الوراثة، ووليّ الصغير يتصرّف بولايته في شؤون الصغير الماليّة بتدبير أمره، ووليّ النصرة له أن يتصرّف في أمر المنصور من حيث تقويته في الدفاع، والله سبحانه وليّ عباده يدبّر أمرهم في الدنيا والآخرة، لا وليّ غيره، وهو وليّ المؤمنين في تدبير أمر دينهم بالهداية، والدعوة، والتوفيق، والنصر، وغير ذلك، والنبيّ وليّ المؤمنين من حيث إنّ له أن يحكم فيهم، ولهم، وعليهم بالتشريع والقضاء، والحاكم وليّ الناس بالحكم فيهم على مقدار سعة حكومته، وعلى هذا القياس سائر موارد الولاية، كولاية العتق، والحلف، والجوار، والطلاق، وابن العمّ، وولاية الحبّ، وولاية العهد، وهكذا، وقوله: ﴿يُوَلُّون

﴿ٱلۡأَدۡبَٰرَ﴾[١] أي يجعلون أدبارهم تلي جهة الحرب وتدبّر أمرها، وقوله ﴿تَوَلَّيۡتُمۡ﴾[٢] أي توليّتم عن قبوله، أي اتخذتم أنفسكم تلي جهة خلاف جهته بالإعراض عنه، أو اتخذتم وجوهكم تلي خلاف جهته بالإعراض عنه، فالمحصّل من معنى الولاية في موارد استعمالها هو نحو من القرب يوجب نوعًا من حقّ التصرُّف ومالكيّة التدبير»[٣].

٢- التكوينيّة

إنّ كلمة التكوينيّة مأخوذة من «الكون»، وهو الحدث، «فالكائنة»، أي الحادثة، وكوَّنه فتكوّن، أي أحدثه فحدث، وعليه فالتكوين هو الإحداث[٤].

بناءً على ما تقدّم، فإنّ المعنى اللغويّ للولاية التكوينيّة حينما ننسبها للإنسان مثلاً: هو أنّ للإنسان قربًا خاصًّا، ونوعًا من السُّلطة على إحداث شيء ما.

---

(١) سورة الأحزاب، الآية ١٥.

(٢) سورة محمّد، الآية ٢٢.

(٣) الطباطبائي، محمد حسين، تفسير الميزان، (لا،ط)، قم، منشورات جماعة المدرسين، (لا،ت)، ج٦، ص ١٢.

(٤) ابن منظور، محمّد، لسان العرب، ج١٣، ص٣٦٣-٣٦٤.

أي أنّه مسلَّط على نفسه في إحداث ما يريده، وهذا ما يتّفق مع الشعور الوجدانيّ لدى الإنسان، فهو وجدانًا يعرف أنّ له سلطة على نفسه أن يتكلَّم فيتكلَّم، وأن يمشي فيمشي، وأن يجلس فيجلس، وهكذا، أي هو ليس بحاجة حينما يريد التكلّم أن يُحرِّك من الخارج، ولا يشعر أنّه بإدارة مباشرةٍ من الخارج، وبعبارة أخرى: إنّ كلّ إنسان له ولاية تكوينيّة على نفسه في إحداث ما يريده.

الولاية التكوينيّة في الاصطلاح

لم ترد عبارة «الولاية التكوينيّة» في القرآن الكريم، أو في الأحاديث الشريفة لنبحث عن تفسير خاصّ لها في ضوء النصوص الشريفة، وإنّما هي اصطلاح استعمله العلماء، بل ذكر البعض أنّه لا وجود لهذا المصطلح إلاّ في كلمات المتأخّرين[١].

ومن الملاحظ للمتتبّع لأقوال العلماء، الذين تداولوا هذا المصطلح، أنّهم اختلفوا في تفسيره، لدرجة أنّه إذا قرأنا أو سمعنا عن أحدهم إنكاره للولاية التكوينيّة، وعن آخر

(١) الحائريّ، كاظم، الإمامة وقيادة المجتمع، ط١، قم، باقري، ١٤١٦هـ، ص ١١٩.

إثباته لها، فإنّ هذا لا يعني كونهما مختلفين، فقد يكون لكلٍّ منهما تفسيرٌ للولاية التكوينيّة يختلف عن تفسير الآخر، مع اتفاقهما في المضمون.

وبما أنّه ليس الهدف في هذا المقام إحصاء تفسيرات الولاية التكوينيّة المتعدِّدة، فإنّا نكتفي منها بعرض المعنى الأكثر شهرة من بين التفاسير وهو: ولاية التصرّف في الكون.

ولاية التصرُّف

معنى ولاية التصرُّف

إنّ المقصود من كون النبيّ أو الإمام له ولاية التصرُّف في التكوين، أي أنّ اللّه تعالى أفاض عليه نوعًا من السلطة على إحداث أمورٍ لا تحدث في العادة، كإبراء المرضى بمجرّد المسح عليهم، وإحياء الموتى، وتسخير الريح لتنقل له ما يريد، وهكذا.

ولتوضيح معنى ولاية التصرُّف هذه نقول: من المسلَّم به إسلاميًّا أنّ ما تقدّم من أمثلة وغيرها قد جرى للأنبياء،

فالنبيّ سليمان عليه السلام كانت له ريح تجري بأمره، والنبيّ عيسى عليه السلام كان يبرئ الأكمه والأعمى بمجرّد مسح يده عليهما، وكذلك كان يُحيي الموتى، وكان يصنع من الطين شكل طير، ثمّ ينفخ فيه فيكون طيرًا، إلاّ أنّه حصل اختلاف في تفسير كيفيّة حصول هذه الأمور على رأيين أساسيّين:

الرأي الأوّل: إنّ الذي كان يقوم بهذه الأمور الخارقة هو اللّه تعالى مباشرة، وليس النبيّ عليه السلام، فالنبيّ عليه السلام كان يضع يده ويدعو، واللّه تعالى هو الذي كان يباشر إحياء الموتى وإبراء الأكمه، وهكذا الحال في تسخير الريح. وقد شبّه بعضهم هذا الأمر بالحنفيّة، بمعنى أنّ هذا الأمر المخالف للعادة والطبيعة هو كالماء في الحنفيّة التي يكون فتحها لا بيد الإنسان، بل بيد اللّه (تعبير مجازيّ) مباشرةً، فهو تعالى يفتحها حينما يريد، بدون أن يجعل نوعًا من السلطة والولاية للنبيّ عليه السلام على إحداث مثل هذه الأمور، وبالتالي فهذا الرأي ينفي الولاية التكوينيّة. فالنبيّ عيسى عليه السلام في إحياء الموتى لا يكون تصرُّفه شبيهًا بولايته على نفسه حينما

يمشي، أو يتحدّث، أو يجلس، بل يحتاج إلى أن يتوجّه إلى اللّه تعالى ليتدخّل بشكل مباشر في تحقيق تلك الأمور.

الرأي الثاني: إنّ اللّه تعالى أعطى للأنبياء عليهم السلام ، وكذا لبعض الأولياء، ولاية لإحداث الأمور الخارقة. فالنبيّ عيسى عليه السلام يستطيع، بإذن اللّه الذي منحه هذه الولاية، أن يحيي الموتى، وأن يبرئ المريض كما هي استطاعته أن يتحدّث، ويمشي، ويجلس، ويقوم.

فهو عليه السلام له ولاية على إحداث هذا الأمر، ومن القطعيّ أنّ كلّ مجريات هذه الولاية هي بإذن اللّه تعالى، ووفق إرادته التي لا يتحرّك النبيّ عليه السلام إلاّ على وفقها.

نلاحظ فيما تقدَّم أنّ الاختلاف في ولاية التصرُّف التكوينيّة لم ينحصر في أئمّة أهل البيت عليهم السلام ، فالنقاش فيها هو بمنحها للإنسان نبيًّا كان أو إمامًا أو وليًّا آخر، لذا فإنّ الأمثلة التي سوف نتعرّض لها ستكون بدايةً حول ولاية التصرُّف للأنبياء، ثمّ ننتقل بعدها للحديث عن ولاية التصرُّف للأئمّة المعصومين عليهم السلام .

هل ولاية التصرُّف ممكنة؟

قبل الخوض في الأدلّة المثبتة لولاية التصرُّف في التكوين للأنبياء عليهم السلام والأئمة عليهم السلام، لا بدّ أن نجتاز أمرًا أساسيًّا، ونفرغ عنه، وهو هل هذه الولاية ممكنة أو مستحيلة؟

من الواضح أنّ الذي يحتاج إلى دليل هو الاستحالة، فكلّ شيء هو ممكن ما لم تثبت استحالته. والمتأمّل في ولاية التصرُّف يتّضح له أنّه لا دليل على استحالة منحِ اللّه تعالى لهذا النحو من الولاية للإنسان، ولا مانعَ عقليًّا منه، بل إنّ مجريات ولاية التصرُّف التي طرحت في القرآن الكريم، بما أطلق عليه عنوان «**المعجزات**»، إنّما هي في مقام الخرق لقانون الطبيعة والعادة، وليسَ في مقام خرق القانون العقليّ، وقد أوضحنا ذلك في كتاب «**يسألونك عن الأنبياء**». وعليه فإنّ من ينكر ولاية التصرُّف ينبغي أن ينحصر إنكاره بثبوتها الخارجيّ، بدون أن يصل إلى حدِّ القول باستحالتها، وذلك لوضوح إمكانها العقليّ كما تقدَّم.

الاستغراب والاستنكار

إنّ إمكان ولاية التصرُّف له تداعيات، منها أنّ الذي يدَّعي وجودها عليه أن يأتي بدليل على الإثبات، كما أنَّ الذي ينكرها عليه أن يأتي بدليل على النفي، أمَّا مجرَّد الاستبعاد والاستغراب فلا يصحّ أن يعتمد عليهما في رفض ولاية التصرُّف، فإنّ العقل الإنسانيّ قاصر عن إدراك الكثير من الحقائق، فكيف يتجرّأ على إنكار شيء ممكن لمجرَّد استبعاده؟

وقد حذّر أئمة أهل البيت عليهم السلام من اللجوء إلى الإنكار بسبب عدم التحمُّل النفسيّ بما يُروى بسبب استبعاده، ففي رواية صحيحة السند عن الحذَّاء: سمعت أبا جعفر عليه السلام يقول: «**إن أحبَّ أصحابي إليَّ أورعهم، وأفقههم، وأكتمهم لحديثنا، وإنّ أسوأهم عندي حالاً، وأمقتهم للذي إذا سمع الحديث ينسب إلينا، ويروى عنّا، فلم يقبله اشمأزّ منه، وجحده وكفَّر من دان به، وهو لا يدري لعلّ الحديث من عندنا خرج وإلينا أسند، فيكون بذلك خارجًا عن ولايتنا**»[1].

(١) الكلينيّ، محمّد، الكافي، ط٤، طهران، دار الكتب، ١٣٦٥هـ.ش، ج٢، ص ٢٢٣.

الأدلّة المثبتة لولاية التصرُّف

إنّ ما تقدّم يفيد أنّ البحث في أدلّة ولاية التصرُّف ينحصر في إثبات وقوعها، وليس في إمكانها، وبالتالي فإنّ المصدر الوحيد لإثبات وقوع هذه الولاية هو النصوص الواردة. وبناءً عليه نعرض بعض الآيات القرآنيّة والأحاديث الشريفة المثبتة لولاية التصرُّف.

١- قوله تعالى: ﴿قَدْ جِئْتُكُم بِآيَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ أَنِّي أَخْلُقُ لَكُم مِّنَ الطِّينِ كَهَيْئَةِ الطَّيْرِ فَأَنفُخُ فِيهِ فَيَكُونُ طَيْرًا بِإِذْنِ اللَّهِ وَأُبْرِئُ الْأَكْمَهَ وَالْأَبْرَصَ وَأُحْيِي الْمَوْتَى بِإِذْنِ اللَّهِ﴾[(١)].

إنّ هذه الآية صرَّحت بوضوح أنّ الذي يخلق من الطين كهيئة الطير، وينفخ فيه فيكون طيرًا هو النبيّ عيسى عليه السلام، يبقى الكلام في أنّ هذا الأمر هل يحدث بتدخّل مباشر من اللّه تعالى بدون أن يكون للنبيّ عيسى عليه السلام ولاية في ذلك، أو يحدث بما منحه اللّه من ولاية؟ وبعبارة أخرى: هل يكون الأمر على نحو «الحنفيّة» التي يفتحها اللّه مباشرة حينما

(١) سورة آل عمران، الآية ٤٩.

يريد، أو أنّ النبيّ عيسى عليه السلام له ولاية على ذلك؟

والجواب يتّضح من خلال التأمُّل بالأفعال الواردة في الآية وهي ﴿أَخْلُقُ﴾، ﴿فَأَنفُخُ﴾، ﴿وَأُبْرِئُ﴾، ﴿وَأُحْيِ﴾، فهي أفعال مضارعة، ومن المعروف أنّ الفعل المضارع يفيد الاستمرار والتجدُّد، فهناك فرق بين قولك: أنا ساعدت هذا الفقير، وقولك: أنا أساعد هذا الفقير، فالأوّل دالّ على حصول مساعدة في الماضي، أمّا الثاني فيدلّ على استمرار هذه المساعدة، وعليه فقوله تعالى: ﴿أَخْلُقُ﴾، وما بعده يدلّ على أنّ هذا الفعل مستمرّ ومتجدِّد، وهو ما يناسب الولاية لا تلك الفكرة التي تشبِّه ذلك بالحنفيّة.

أمّا قوله تعالى ﴿بِإِذْنِ ٱللَّهِ﴾، فهو دفع لمحذور اتخاذ عيسى عليه السلام إلهًا دون اللّه تعالى، كما قالت النصارى، وإلاّ فإنّ كلّ الأمور هي بإذن اللّه تعالى.

هذا هو ظاهر الآية، وإرادة معنى آخر منها يكون من المجاز الذي يحتاج إلى قرينة، نفقدها في المقام.

٢- قوله تعالى: ﴿فَسَخَّرْنَا لَهُ ٱلرِّيحَ تَجْرِى بِأَمْرِهِۦ رُخَآءً حَيْثُ أَصَابَ﴾[١].

---

(١) سورة ص، الآية ٣٦.

إنّ معنى الآية: فذلّلنا لسليمان عليه السلام وطوّعنا له الريح تجري بأمره بلين وسهولة على ما يريده(١)، وهي توضّح أنّ الريح تجري بأمره أي بأمر سليمان عليه السلام، و«**تجري**» فعل مضارع يدلّ على الاستمرار والدوام، وهو ما يفيد أنّ له ولاية على الريح في إرسالها إلى حيث يريد.

٣- قوله تعالى: ﴿قَالَ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلْمَلَؤُا۟ أَيُّكُمْ يَأْتِينِى بِعَرْشِهَا قَبْلَ أَن يَأْتُونِى مُسْلِمِينَ ﴿٣٨﴾ قَالَ عِفْرِيتٌ مِّنَ ٱلْجِنِّ أَنَا۠ ءَاتِيكَ بِهِۦ قَبْلَ أَن تَقُومَ مِن مَّقَامِكَ ۖ وَإِنِّى عَلَيْهِ لَقَوِىٌّ أَمِينٌ ﴿٣٩﴾ قَالَ ٱلَّذِى عِندَهُۥ عِلْمٌ مِّنَ ٱلْكِتَـٰبِ أَنَا۠ ءَاتِيكَ بِهِۦ قَبْلَ أَن يَرْتَدَّ إِلَيْكَ طَرْفُكَ ۚ فَلَمَّا رَءَاهُ مُسْتَقِرًّا عِندَهُۥ قَالَ هَـٰذَا مِن فَضْلِ رَبِّى لِيَبْلُوَنِىٓ ءَأَشْكُرُ أَمْ أَكْفُرُ ۖ﴾(٢).

إنّ هذه الآية تفيد أنّ سؤال النبيّ سليمان عليه السلام هو عن القادر على الإتيان بعرش بلقيس من اليمن إلى الشام، حيث مجلس سليمان عليه السلام، وجواب آصف بن برخيا(٣): ﴿أَنَا۠ ءَاتِيكَ

---

(١) انظر: الطباطبائيّ، محمّد حسين، الميزان، (لا،ط)، قم، منشورات جماعة المدرسين، (لا،ت)، ج١٧، ص٢٠٥.

(٢) سورة النمل، الآيات ٣٨-٤٠.

(٣) أنظر: ابن ابراهيم، علي، تفسير القمي، ط٣، قم، دار الكتاب، ١٤٠٤هـ، ج٢، ص١٢٨.

بِهِۦ﴾، يدلّ على قدرته على ذلك قبل أن يرتدّ طرف سليمان عليه السلام، وبالتالي فهو مصداق واضح لهذه الولاية التكوينيّة.

وهذه الآية فيها إضافة جديدة هي عدم اختصاص ولاية التصرُّف التكوينيّة بالأنبياء عليهم السلام، فصاحب الولاية فيها هو آصف ابن برخيا وصيّ سليمان عليه السلام.

منطلَق ولاية التصرُّف التكوينيّة

الملاحظ في الآية الأخيرة أنّها عرّفت صاحب ولاية التصُّرف التكوينيّة بـ ﴿ٱلَّذِى عِندَهُۥ عِلۡمٌ مِّنَ ٱلۡكِتَٰبِ﴾، بدل أن يقول: «قال آصف»، أو نحو ذلك، وفي الأدب العربيّ يعتبر العلماء أنّ وجود الصفة مكان الاسم هو للإشعار بعلِّية الصفة للحدث، وبالتالي تكون علّة قدرة آصف بن برخيا على الإتيان بعرش بلقيس قبل ارتداد طرف سليمان عليه السلام إليه، هو أنَّ عنده علمًا من الكتاب.

وقد أكَّدت بعض الروايات هذا المعنى، فعن الإمام الباقر عليه السلام أنّه قال: **«إنّ اسم الله الأعظم على ثلاثة وسبعين حرفًا كان عند آصف فيها حرف واحد، فتكلّم به،**

فخسف بالأرض ما بينه وبين سرير بلقيس، حتى تناول السرير بيده، ثمّ عادت الأرض كما كانت أسرع من طرفة عين...»[١].

وفي رواية أخرى عن أبي الحسن صاحب العسكر عليه السلام:

«اسم الله الأعظم ثلاثة وسبعون حرفًا كان عند آصف حرف، فتكلّم به، فانخرقت له الأرض فيما بينه وبين سبأ، فتناول عرش بلقيس حتّى صيّره إلى سليمان، ثمّ انبسطت الأرض في أقلّ من طرفة عين...»[٢].

إلى غيرها من الروايات الواردة في المضمون نفسه.

ويبدو من الجمع بين الآية وما وافقها من روايات أنّ المقصود من الكتاب والاسم الأعظم أمر واحد، وبالتأكيد لا يراد منه القرآن الكريم؛ لأنّه لم يكن في زمن سليمان عليه السلام، وعليه فيكون المراد إمّا اللوح المحفوظ، أو الحقيقة القرآنيّة التي يمثّل القرآن الكريم انعكاسًا لها في قالب

(١) الكلينيّ، محمّد، الكافي، ج١، ص ٢٣٠.
(٢) المصدر السابق نفسه.

الآيات، أو الكتب السماويّة السابقة، وعلى كلٍّ منها فإنّه يُراد من الكتاب والاسم الأعظم هو «**علم ربّانيٌّ خاصّ**»، هو منطلق ولاية التصرُّف التكوينيّة.

العلم الخاصّ وإدراك الكون

إنّ الربط بين العلم الخاصّ وولاية التصرُّف ينسجم مع أطروحة القرآن الكريم التي تحكي بظاهرها إدراكًا ما للكون، وهو ما يظهر في ما يأتي من آيات:

١- ﴿تُسَبِّحُ لَهُ ٱلسَّمَٰوَٰتُ ٱلسَّبۡعُ وَٱلۡأَرۡضُ وَمَن فِيهِنَّۚ وَإِن مِّن شَيۡءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمۡدِهِۦ وَلَٰكِن لَّا تَفۡقَهُونَ تَسۡبِيحَهُمۡۚ إِنَّهُۥ كَانَ حَلِيمًا غَفُورًا﴾[١].

وظاهرها التسبيح الحقيقيّ، وهو لا بدّ أنّه ينطلق من الإدراك، بغضّ النظر عن نوعيّة هذا الإدراك.

٢- ﴿أَلَمۡ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ يُسَبِّحُ لَهُۥ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَٱلطَّيۡرُ صَٰٓفَّٰتٖۖ كُلّٞ قَدۡ عَلِمَ صَلَاتَهُۥ وَتَسۡبِيحَهُۥۗ﴾[٢].

٣- ﴿وَيُسَبِّحُ ٱلرَّعۡدُ بِحَمۡدِهِۦ﴾[٣].

(١) سورة الإسراء، الآية ٤٤.
(٢) سورة النور، الآية ٤١.
(٣) سورة الرعد، الآية ١٣.

٤- ﴿إِنَّا عَرَضْنَا ٱلْأَمَانَةَ عَلَى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱلْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَن يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا ٱلْإِنسَٰنُ ۖ إِنَّهُۥ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا﴾[1].

٥- ﴿يَٰجِبَالُ أَوِّبِى مَعَهُۥ وَٱلطَّيْرَ ۖ﴾[2].

٦- ﴿لَوْ أَنزَلْنَا هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ عَلَىٰ جَبَلٍ لَّرَأَيْتَهُۥ خَٰشِعًا مُّتَصَدِّعًا مِّنْ خَشْيَةِ ٱللَّهِ ۚ﴾[3].

إلى غيرها من الآيات التي تفيد وجود شعور لدى السموات والأرض ينطلق منه خوف وإشفاق، أو إدراك لديها ينطلق منها تسبيح، بغضّ النظر عن نوعيّة الشعور والإدراك فيها.

بناءً على ما تقدّم نفهم أكثر معنى أن يكون للإنسان ولاية تصرُّف بالكون، فإنّه حينما يرزقه الله تعالى علمًا خاصًّا يستطيع من خلاله أن يتفاهم مع الكون، فيفهم منه ويُفهمه، فإنّ ذلك يشكّل مدخلاً لولاية الإنسان العالم عليه واستجابة الكون له.

---

(١) سورة الأحزاب، الآية ٧٢.
(٢) سورة سبأ، الآية ١٠.
(٣) سورة الحشر، الآية ٢١.

إذًا إنّ علم سرّ الطبيعة هو مدخل للولاية عليها، وإنّ التقدّم العلميّ الحاصل اليوم يقرِّب الفكرة أكثر، فالإنسان كلّما غاص في أسرار الطبيعة، وعلم منها مبلغًا من العلم،كلَّما استطاع أن يقوم بأمور كانت تعدُّ قبل هذه الاكتشافات الحديثة من العجائب، كنقل الإنسان الصورة والصوت من أدنى الأرض إلى أقصاها بفارق زمنيّ قليل جدًّا لا يُلتفت إليه.

فإذا كان الاكتشاف الصامت أوصل الإنسان إلى هذا، فكيف إذا كان العلم الخاصّ وكشف سرّ الطبيعة، ولغتها بلسان الغيب هو منطلق الإنسان في علاقته مع الكون؟!

الأئمّة عليهم السلام وولاية التصرُّف التكوينيّة

ذكرنا سابقًا أنّ المثبت لوجود ولاية التصرُّف لدى أيّ إنسان هو النصوص الشريفة من القرآن الكريم والأحاديث الشريفة.

وقد كثرت الروايات الـواردة عن أئمّة أهل البيت عليهم السلام التي تثبت لهم ولاية التصرُّف في الكون، نعرض بعضًا منها بدءًا من رواية حامت حول مبدأ ولاية التصرُّف في قصّة آصف، وهو العلم من الكتاب لتثبت للأئمّة عليهم السلام ولاية أوسع بكثير من ولايته.

١- ورد في الكافي عن سدير قال: كنت أنا، وأبو بصير، ويحيى البزّاز، وداود بن كثير في مجلس أبي عبد الله عليه السلام، إذ خرج إلينا وهو مغضبٌ، فلمّا أخذ مجلسه قال: «**يا عجبًا لأقوام يزعمون أنّا نعلم الغيب، ما يعلم الغيب إلاّ الله عزّ وجلّ ... قال سدير: فلمّا أن قام من مجلسه، وصار في منزله، دخلت أنا وأبو بصير وميسِّر، وقلنا له: جُعلنا فداك، سمعناك وأنت تقول: كذا وكذا، ...ونحن نعلم أنّك تعلم علمًا كثيرًا، ولا ننسبك إلى علم الغيب، فقال عليه السلام: يا سدير، ألم تقرأ القرآن؟ قلت: بلى قال عليه السلام: فهل وجدت فيما قرأت من كتاب الله عزّ وجلّ:** ﴿قَالَ ٱلَّذِى عِندَهُۥ عِلْمٌ مِّنَ ٱلْكِتَٰبِ أَنَا۠ ءَاتِيكَ بِهِۦ قَبْلَ

﴿أَن يَرۡتَدَّ إِلَيۡكَ طَرۡفُكَۚ﴾[١]، قلت: جعلت فداك، قد قرأته قال عليه السلام: فهل عرفت الرجل؟ وهل علمت ما كان عنده من علم الكتاب؟ قلت: أخبرني به. قال عليه السلام: قدر قطرة من الماء في البحر الأخضر فما يكون ذلك من علم الكتاب. قلت: جعلت فداك، ما أقلّ هذا، فقال عليه السلام: يا سدير، ما أكثر هذا أن ينسبه الله عزّ وجلّ إلى العلم الذي أخبرك به. يا سدير، فهل وجدت فيما قرأت من كتاب الله عزّ وجلّ أيضًا: ﴿قُلۡ كَفَىٰ بِٱللَّهِ شَهِيدَۢا بَيۡنِي وَبَيۡنَكُمۡ وَمَنۡ عِندَهُۥ عِلۡمُ ٱلۡكِتَٰبِ﴾[٢]، قلت: قد قرأته، جعلت فداك. قال عليه السلام: أفمن عنده علم الكتاب كلّه أفهم أم من عنده علم الكتاب بعضه. قلت: لا، بل من عنده علم الكتاب كلّه. فأومأ بيده إلى صدره وقال عليه السلام: علم الكتاب والله كلّه عندنا، علم الكتاب والله كلّه عندنا»[٣].

(١) سورة النمل، الآية ٤٠.
(٢) سورة الرعد، الآية ٤٣.
(٣) الكلينيّ، محمّد، الكافي، ج١، ص ٢٥٧.

٢- ورد العديد من الروايات حول الاسم الأعظم، وما أعطى اللّه تعالى منه لآصف، ولكنّا لم نعرضها كاملة للمحافظة على ترتيب الأفكار وعدم التداخل، وهنا نعرض واحدة منها كاملة:

ورد في الكافي بسنده عن جابر عن الإمام الباقر عليه السلام قال: «**إنّ اسم اللّه الأعظم على ثلاثة وسبعين حرفًا، وإنّما كان عند آصف منها حرف واحد، فتكلّم به، فخسف بالأرض ما بينه وبين سرير بلقيس حتى تناول السرير بيده، ثمّ عادت الأرض كما كانت أسرع من طرفة عين، ونحن عندنا من الاسم الأعظم، اثنان وسبعون حرفًا، وحرفٌ واحدٌ عند اللّه تعالى استأثر به في علم الغيب عنده، ولا حول ولا قوّة إلاّ باللّه العليّ العظيم**»[١].

٣- في رواية معتبرة نقلها الشيخ المفيد في الاختصاص عن أبّان الأحمر قال الصادق عليه السلام: «**يا أبّان كيف ينكر الناس قول أمير المؤمنين عليه السلام لمّا قال: لو شئت لرفعت رجلي هذه، فضربت بها صدر ابن أبي سفيان بالشام، فنكسته**

---

(١) الكلينيّ، محمّد، الكافي، ج١، ص ٢٣٠.

عن سريره، ولا ينكرون تناول آصف وصيّ سليمان عرش بلقيس، وإتيانه سليمان به قبل أن يرتدّ إليه طرفه؟! أليس نبيّنا صلى الله عليه وآله وسلم أفضل الأنبياء عليهم السلام ووصيّه عليه السلام أفضل الأوصياء. أفلا جعلوه كوصيّ سليمان. حكم الله بيننا وبين من جحد حقّنا وأنكر فضلنا»[1].

إنَّ ما تقدَّم من أدلّة، إضافة إلى غيرها ممّا لم نذكره، كان هو خلفيّة قول الإمام الخمينيّ قدس سره في كتابه الحكومة الإسلاميّة: **«إنّ للإمام مقامًا محمودًا، ودرجةً سامية، وخلافة تكوينيّة تخضع لولايتها وسيطرتها جميع ذرّات هذا الكون»**[2].

(١) المفيد، محمّد، الاختصاص، علي أكبر الغفاري ومحمود الزرندي، ط٢، بيروت، دار المفيد، ١٤١٤هـ، ص٢١٢-٢١٣.
(٢) الخمينيّ، روح الله، الحكومة الإسلاميّة، ط٢، بيروت، مركز الإمام الخميني، ١٤٢٩هـ، ص ٥٦.

5

هل الأئمّة عليهم السلام واسطة في الفيض؟

معنى الواسطة في الفيض

يُراد من الفيض العطاء الإلهيّ، فمعنى كونهم واسطة فيه، أي أنّ هذا العطاء يمرّ عبرهم وبوساطتهم، وقد طرح هذا الأمر في معنيين للواسطة هما:

المعنى الأوّل: أنّهم واسطة في خلق العالم، اعتمادًا على روايات عديدة تتحدّث عن عالم الأنوار الذي هو قبل هذا العالم المادّي، وأنّ اللّه تعالى قد خلق في ذلك العالم أنوار محمّد وأهل بيته عليهم السلام، ثمّ بوساطتهم خلق عالم المادّة. ومن هذه الروايات:

١- «**إعلم أنّ الله تعالى خلقني وخلق عليًّا من نور عظمته،**

قبل أن يخلق الخلق بألفي عام، إذ لا تقديس ولا تسبيح، ففتق نوري، فخلق منه السماوات والأرض، وأنا والله أجلّ من السماوات والأرض، وفتق نور عليّ بن أبي طالب عليه السلام، فخلق منه العرش والكرسيّ، وعليّ بن أبي طالب أفضل من العرش والكرسيّ، وفتق نور الحسن، فخلق منه اللوح والقلم، والحسن أفضل من اللوح والقلم، وفتق نور الحسين، فخلق منه الجِنان والحور العين، والحسين والله أجلّ من الجِنان والحور العين، ثمّ أظلمت المشارق والمغارب، فشكت الملائكة إلى الله تعالى أن يكشف عنهم تلك الظلمة، فتكلّم الله جلّ جلاله بكلمة، فخلق منها روحًا، ثمّ تكلّم بكلمة، فخلق من تلك الروح نورًا، فأضاف النور إلى تلك الروح، وأقامها أمام العرش، فزهرت المشارق والمغارب، فهي فاطمة الزهراء عليها السلام، ولذلك سمّيت الزهراء؛ لأنّ نورها زهرت به السماوات»[1].

---

(١) القميّ، شاذان، الفضائل، (لا،ط)، النجف الأشرف، المطبعة الحيدرية، ١٣٨١هـ، ص١٢٩. المجلسيّ، محمّد باقر، بحار الأنوار، ج٤٠، ص٤٤.

٢- في كتاب سليم بن قيس عن الرسول الأكرم صلى الله عليه وآله وسلم: «يا عليّ، خلقت أنا وأنت من عمودين من نور معلّقين من تحت العرش، يقدّسان الملك قبل أن يخلق الخلق بألفي عام...»[١].

٣- ما ورد عن الإمام الباقر عليه السلام قال: «قال أمير المؤمنين عليه السلام: إنّ الله تبارك وتعالى أحدٌ واحد، تفرّد في وحدانيّته، ثمّ تكلّم بكلمة، فصارت نورًا، ثمّ خلق من ذلك النور محمّدًا صلى الله عليه وآله وسلم، وخلقني وذريّتي، ثمّ تكلّم بكلمة، فصارت روحًا، فأسكنه الله في ذلك النور، وأسكنه في أبداننا فنحن روح الله وكلماته، فبنا احتجّ على خلقه، فما زلنا في ظلّة خضراء، حيث لا شمس ولا قمر ولا ليل ولا نهار، ولا عين تطرف، نعبده ونقدّسه ونسبّحه، وذلك قبل أن يخلق الخلق»[٢].

٤- ما روي عن سلمان الفارسيّ (المحمّديّ) عن رسول الله

(١) المجلسيّ، محمّد باقر، بحار الأنوار، ج٢٢، ص١٤٨.
(٢) المصدر السابق، ج٥٣، ص٤٦.

صلى الله عليه وآله وسلم: «...ألا وإنّي وأهل بيتي كنّا نورًا نسعى بين يدي الله قبل أن يخلق آدم بألفي عام، فكان ذلك النور إذا سبّح سبّحت الملائكة لتسبيحه...»[١].

من الواضح أنّ هذه الروايات تُجمِع على وجود عالم الأنوار قبل العالم الماديّ، وأنّ محمّدًا صلى الله عليه وآله وسلم بمعنى الحقيقة، لا بالمعنى البشريّ، وُجد قبل خلق آدم عليه السلام، مع عليّ عليه السلام الحقيقة النورانيّة أيضًا، وكنّا مع الأئمّة من ذريّته، ومنهم السيّدة الزهراء عليها السلام كما مرّ في الروايات التي صرَّح بعضها أنّ العالم الماديّ خُلق من تلك الحقائق النورانيّة، وهذا معنى كونهم وسائطه في الفيض بالمعنى الأوّل.

الواسطة في الفيض ليست فكرة دينيّة فقط

لم تكن تلك الروايات هي المنطلق الوحيد للحديث عن الواسطة في الفيض بالمعنى الأوّل، بغضّ النظر عن تسمية الواسطة، فهذه المسألة طُرحت في الفكر الفلسفيّ قبل الإسلام، فالمنسوب إلى أفلوطين، الذي عاش في القرن

(١) المصدر السابق، ج٢٢، ص١٤٨.

الثالث الميلاديّ، أنّ أول ما ينبعث عن اللّه تعالى هو العقل الذي هو أقلّ كمالاً من اللّه تعالى، وهو فيض عنه، وانعكاس لنوره، وعنه يصدر العقل الثاني الذي هو انعكاس لنور العقل الأوّل، وهو النفس الكليّة التي تقف على تخوم العالم المعقول، قريبة من العالم المحسوس، ومن هذه النفس الكليّة تفيض الفيوضات الكثيرة[1].

وقد أيّد جملة من فلاسفة المسلمين أصل فكرة الواسطة في الفيض، فبيَّن المشّاؤون[2] منهم أول ما ينبعث عن اللّه تعالى هو العقل الأوّل الواحد بالعدد، ثمّ يصدر العقل الثاني، وهكذا إلى عشرة عقول، هو العقل الفعّال من خلال عاشرها يوجد عالم الطبيعة[3].

وكذلك أعلن السهورورديّ إيمانه بفكرة الواسطة في

---

(١) أنظر: زيادة، معن، موسوعة الفلسفة العربيّة، (لا،ط)، (لا،م)، معهد الإنماء العربيّ، (لا،ت)، ج٢، ص ١٠٥٧.

(٢) سُمِّي أتباع أرسطو بالمشّائين؛ إمّا لأنّ أرسطو كان يدرِّس وهو ماش، أو لأنّهم مشَوا بالاستدلال ابتداءً من العقل، ومن المشّائين المسلمين الفارابي وابنُ سينا.

(٣) الطباطبائيّ، محمّد حسين، نهاية الحكمة، ط١٤، قم، مؤسسة النشر الإسلامي، ١٤١٧هـ، ص ٣٨٢.

الفيض، وأنّ المخلوق الأوّل هو نور واحد، وهو منتهى جميع الكمالات[١].

وينطلق بعض الفلاسفة في اعتقاده بالواسطة في الفيض من أمر دقيق نقاربه بالتوضيح الآتي: إنَّ العالم المادّي الكثير لا يتحمّل كونه الخلق الأوّل من اللّٰه تعالى الكامل المطلق، وإنّ حاله حال ما لو أردنا أن نضيء مصباحًا كهربائيًّا صغيرًا بوصله بسلك التوتر العاليّ مباشرة، فإنّ المصباح لا يتحمّل تلك الطاقة، وهكذا حال العالم الماديّ فإنّه لا يتحمّل لضعفه أن يكون هو الخلق الأوّل، لذا لا بدّ أن يكون هناك توسّط لخلقه، وما يتوسّط يسمّى بالواسطة في الفيض.

إذًا إنّ المعتقد بالواسطة في الفيض كان موجودًا في الفكر الفلسفيّ كنظريّة عامّة بغضّ النظر عن تطبيقاتها، وجاءت الروايات لتؤكّد تلك الفكرة بحكايتها عن وقوع تلك الواسطة متمثّلة بالنور الأوّل الذي أطلق عليه بالحقيقة المحمّديّة، التي تعتبر في فكر العديد من فلاسفة الإسلام تمثّل الواسطة في فيض وخلق هذا العالم.

(١) انظر: زيادة، معن، موسوعة الفلسفة العربيّة، ج٢، ص١٠٥٩.

المعنى الثاني: إنّ النبيّ والأئمّة عليهم السلام هم واسطة اللّه تعالى في إفاضة مستمرّة دائمة على هذا المعنى، وبعبارة أخرى إنّ اللّه تعالى جعل للعالم نظامًا قائمًا على إدارة الإنسان الكامل له.

مسلَّمات قبل الإجابة

قبل الدخول في إثبات أو نفي هذا المعنى نشير إلى أمرين:

الأوّل: ممّا لا شكّ فيه، كما تقدّم، أنّ القول بكون أيّ أحد غير اللّه تعالى له إدارة مستقلّة عن اللّه تعالى فهذا غلوٌّ في العقيدة، وقائله مغالٍ ملعون.

الثاني: إنّ العقل لا يمنع من التوسّط غير المستقلّ عن اللّه تعالى في إطار الربوبيّة الإلهيّة، كمثال توسيط اللّه تعالى بعض ملائكته تدبير الأمور، قال تعالى: ﴿فَٱلْمُدَبِّرَٰتِ أَمْرًا﴾[1]، وقال تعالى: ﴿فَٱلْمُقَسِّمَٰتِ أَمْرًا﴾[2]، ومثال توسيط ملك الموت

(١) سورة النازعات، الآية ٥.
(٢) سورة الذاريات، الآية ٤.

بقبض الأرواح، قال تعالى: ﴿قُلْ يَتَوَفَّىٰكُم مَّلَكُ ٱلْمَوْتِ﴾[١]، وجبرئيل بالوحي، قال تعالى: ﴿نَزَلَ بِهِ ٱلرُّوحُ ٱلْأَمِينُ﴾[٢].

الثالث: لا يصحّ، كما تقدّم سابقًا، إنكار الفكرة والاعتقاد ببطلانها، لمجرّد استبعاد ذلك، فهذا ما نهجت عنه بعض الروايات، كالرواية المتقدّمة عن الإمام الباقر عليه السلام: «**إن أحبَّ أصحابي إليَّ أورعهم، وأفقههم، وأكتمهم لحديثنا، وإنّ أسوأهم عندي حالاً، وأمقتهم للذي إذا سمع الحديث يُنسب إلينا، ويُروى عنّا، فلم يقبله اشمأزّ منه، وجحده وكفَّر من دان به، وهو لا يدري لعلّ الحديث من عندنا خرج وإلينا أُسند، فيكون بذلك خارجًا عن ولايتنا**»[٣].

الإجابة

بناءً على ما تقدّم، فالنقاش في الواسطة في الفيض بالمعنى الثاني منحصر بكون الإنسان الكامل كالنبيّ والأئمّة هو واسطة غير مستقلّة يوسّطها اللّه تعالى في إفاضته على

(١) سورة السجدة، الآية ١١.
(٢) سورة الشعراء، الآية ١٩٣.
(٣) الكلينيّ، محمّد، الكافي، ط٤، طهران، دار الكتب، ١٣٦٥هـ.ش، ج٢، ص ٢٢٣.

العالم، وبما أنّ هذه الفكرة ممكنة عقلاً كما تقدّم، فإنّه لا مجال للاعتقاد بقبولها أو لرفضها إلاّ من خلال القرآن الكريم والأحاديث الشريفة.

وفي مقام الجواب نقول:

١- إنّ نفي الفكرة بالأدلّة اللفظيّة فيه صعوبة كبيرة من جهة أنّ الأدلّة التي تحصر إدارة الكون بالله يمكن أن تحمل على الاستقلاليّة، بمعنى أنّه تعالى وحده، وبشكل مستقلّ يفيض على هذا الكون، وهذا لا يتنافى مع كون غيره هو واسطة في تلك الإفاضة.

فقوله تعالى: ﴿إِنَّمَآ أَمۡرُهُۥٓ إِذَآ أَرَادَ شَيۡـًٔا أَن يَقُولَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ﴾[1]، يمكن حمله على أنّه كذلك استقلالٌ، فيصحّ معنى أنّه تعالى إذا أراد أن يميت إنسانًا يوسّط ملك الموت بالتبع، لا بالاستقلال كما تقدّم، وهكذا الحال في غير هذه الآية كقوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُمۡسِكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ أَن تَزُولَاۚ

(١) سورة يس، الآية ٨٢.

وَلَئِن زَالَتَآ إِنۡ أَمۡسَكَهُمَا مِنۡ أَحَدٖ مِّنۢ بَعۡدِهِۦٓۚ ﴾[١]، فهذه الآية، وإن كانت تؤكّد أنّ الذي يمسك السموات والأرض هو اللّه تعالى، وإن أمسكهما أحد من بعده فهما إلى زوال، إلاّ أنّها لا تتنافى مع توسيط اللّه تعالى ملائكة أو أحدًا آخر لذلك الإمساك بالتبع، لا بالأصالة، وهكذا الحال في قوله تعالى: ﴿أَوَلَمۡ يَعۡلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ يَبۡسُطُ ٱلرِّزۡقَ لِمَن يَشَآءُ وَيَقۡدِرُۚ ﴾[٢]، فإنّها لا تتنافى مع توسيط اللّه تعالى لِمَلك، أو أحد آخر في إفاضة الرزق بشكل غير مستقلّ، إنّما بتبع إرادة اللّه تعالى.

أمّا فيما يخصّ الروايات التي قد يفهم منها نفي التوسّط، فإنّه يمكن أن يحمل على التفويض أي على الاستقلاليّة، وهو أمر باطل، وغلوٌّ واضح كما تقدّم، كما في الحديث عن الإمام الرضا عليه السلام: **«من زعم أنّ إلينا الخلق، وعلينا الرزق، فنحن براء منه، كبراءة عيسى بن مريم من النصارى»**[٣].

(١) سورة فاطر، الآية ٤١.
(٢) سورة الزمر، الآية ٥٢.
(٣) المجلسيّ، محمّد باقر، بحار الأنوار، ج٢٥، ص ٣٤٣.

فإنّ هذه الرواية يمكن حملها على كون المقصود التفويض استقلالاً.

٢- لا يوجد في القرآن الكريم ما يدلّ على كون النبيّ والأئمّة عليهم السلام واسطة في الفيض.

٣- يوجد بعض الروايات التي قد يُفهم منها كون النبيّ والأئمّة واسطة في الفيض بالمعنى المتقدِّم منها:

I- ما ورد في الزيارة الجامعة الواردة عن الإمام عليّ الهادي عليه السلام: **«بكم فتح الله، وبكم يختم، وبكم ينزل الغيث، وبكم يمسك السماء أن تقع على الأرض إلاّ بإذنه، وبكم ينفس الهمّ ويكشف الضرّ، وعندكم ما نزلت به رسله، وهبطت به ملائكته، وإلى جدّكم بعث الروح الأمين»**[1].

II- ما ورد عن الإمام الصادق عليه السلام في تعليمه كيفيّة زيارة الإمام الحسين عليه السلام: **«بكم يختم الله، وبكم**

(١) الصدوق، محمّد، من لا يحضره الفقيه، ط٢، قم، مؤسسة النشر، (لا،ت)، ج٢، ص ٦١٥. الطوسيّ، محمّد، تهذيب الأحكام، تحقيق حسن الموسوي الخرسان، ط٣، طهران، دار الكتب الإسلامية، ١٣٦٤هـ.ش، ج٦، ص ٩٩.

يمحو ما يشاء، وبكم يثبت، وبكم يفكّ الذلّ من رقابنا، وبكم يدرك الله ترة كلّ مؤمن يطلب بها، وبكم تنبت الأرض أشجارها، وبكم تخرج الأشجار أثمارها، وبكم تنزل السماء قطرها ورزقها، بكم يكشف الله الكرب، وبكم ينزل الله الغيث، وبكم تسيخ الأرض التي تحمل أبدانكم وتستقرّ جبالها عن مراسيها إرادة الربّ في مقادير أموره تهبط إليكم وتصدر عن بيوتكم»[(١)].

III- ما رواه أسود بن سعيد، قال كنت عند أبي جعفر، أي الإمام الباقر عليه السلام، فأنشأ ابتداءً من غير أن أسأله: **«نحن حجّة الله، ونحن باب الله، ونحن لسان الله، ونحن وجه الله، ونحن عين الله في خلقه، ونحن ولاة أمر الله في عباده»**[(٢)].

IV- ما رواه مروان بن صباح قال: قال أبو عبد

(١) الكلينيّ، محمّد، الكافي، ج٤، ص ٥٧٦-٥٧٧.
(٢) المصدر السابق، ج١، ص ١٤٥.

اللّه عليه السلام: **«إنّ اللّه خلقنا، فأحسن صورنا، وجعلنا عينه في عباده، ولسانه الناطق في خلقه، ويده المبسوطة على عباده، بالرأفة والرحمة ووجهه الذي يؤتى منه وبابه الذي يدلّ عليه، وخزانه في سمائه وأرضه، بنا أثمرت الأشجار، وأينعت الثمار، وجرت الأنهار، وبنا ينزل غيث السماء، وينبت عشب الأرض، وبعبادتنا عُبد اللّه، ولولا نحن ما عُبد اللّه»**[١].

لقد حمل العديد من العلماء هذه الروايات ونحوها على كون النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم والأئمّة عليهم السلام واسطة في فيوضات اللّه تعالى على الكون والناس، في حين فسَّرها بعضهم بكون تلك الفيوضات تحصل ببركتهم، وذلك لمقام قربهم من اللّه تعالى.

ونحن لسنا بصدد المناقشة التفصيليّة لمدلول هذه الروايات، إنّما نريد أن نؤكِّد على فكرة أساسيّة، هي أن

(١) الكلينيّ، محمّد، الكافي، ج١، ص ١٤٤.

نتعاطى بروح علميّة منفتحة على هذا النحو من الأفكار، فالروايات السابقة لا تشكِّل دليلاً قطعيًّا على كون النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم والأئمّة عليهم السلام واسطة في الفيض، إنّما يبقى ذلك في مقام الاعتقادات الظنّية، كما لا يشكِّل ما مرّ سابقًا من بعض الآيات والروايات دليلاً علميًّا مقبولاً على رفض فكرة الواسطة في الفيض.

وعليه فمن غير المقبول منهجيًّا إنكار هذه الفضائل والكرامات للأئمّة عليهم السلام، مع كامل التقدير لمن يحمل هذه الروايات على معنى آخر غير الواسطة في الفيض بدون إنكارٍ لأصل الفكرة.

6

هل علم الأئمّة عليهم السلام إنسانيّ أم ربَّانيّ؟

إنّ هذا السؤال يتفرَّع عليه أسئلة حول علمهم عليهم السلام هي:

١- هل علمهم إنسانيّ أم ربَّانيّ؟

إنّ علوم الإنسان لها طريقان:

الأوّل: التعلّم الإنسانيّ الطبيعيّ من خلال القراءة والمشاهدة وما شابه، قال تعالى: ﴿وَٱللَّهُ أَخۡرَجَكُم مِّنۢ بُطُونِ أُمَّهَٰتِكُمۡ لَا تَعۡلَمُونَ شَيۡـٔٗا وَجَعَلَ لَكُمُ ٱلسَّمۡعَ وَٱلۡأَبۡصَٰرَ وَٱلۡأَفۡـِٔدَةَ لَعَلَّكُمۡ تَشۡكُرُونَ﴾[١].

الثاني: التعلّم الربّانيّ، ويطلق عليه العلم اللدنيّ، وهذه الكلمة مأخوذة من قوله تعالى عن الخضر عليه السلام: ﴿وَعَلَّمۡنَٰهُ

(١) سورة النحل، الآية ٧٨.

﴿مِن لَّدُنَّا عِلْمًا﴾[١]، بما يفيد أنّ علمه عليه السلام كان علمًا خاصًّا من لدن اللّه تعالى.

وقد حدَّد اللّه تعالى وسائط العلم اللدنيّ في قوله تعالى: ﴿وَمَا كَانَ لِبَشَرٍ أَن يُكَلِّمَهُ ٱللَّهُ إِلَّا وَحْيًا أَوْ مِن وَرَآءِ حِجَابٍ أَوْ يُرْسِلَ رَسُولًا فَيُوحِيَ بِإِذْنِهِۦ مَا يَشَآءُ ۚ إِنَّهُۥ عَلِيٌّ حَكِيمٌ﴾[٢].

فالوسائط إذًا هي ثلاث:

١- الوحي، وفسّره البعض بالإلقاء في القلب، سواء في اليقظة أو في المنام.

٢- الإسماع، كتكليم اللّه تعالى لنبيّه موسى عليه السلام.

٣- الرسول الملك، كما هو الغالب من حال النبيّ محمّد صلى الله عليه وآله وسلم وكثير من الأنبياء عليهم السلام.

والملاحظ أنّ جعل الرسول وهو الملك مقابل الوحي أرشد إلى كون المراد من الوحي هو الإلقاء في القلب من دون واسطة.

---

(١) سورة الكهف، الآية ٦٥.

(٢) سورة الشورى، الآية ٥١.

بعد هذا العرض يأتي السؤال: هل علم الأئمّة عليهم السلام إنسانيّ أم لدنيّ ربانيّ؟ وإن كان لدنيًّا ربّانيًّا، فمن أيّ الأقسام الثلاثة هو؟

الجواب: أوضحت الروايات أنّ لدى الأئمّة عليهم السلام ثلاثة مصادر علميّة:

الأوّل: الرسول الأكرم صلى الله عليه وآله وسلم نفسه، فهو واكب الإمام عليًّا عليه السلام في حياته، وعلّمه السُنّة النبويّة التي هي منحصرة بشخص النبيّ محمّد صلى الله عليه وآله وسلم، وعليه فمصدر هذه السُنّة هو رسول اللّه صلى الله عليه وآله وسلم[1].

الثاني: الكتب المتوارثة، فقد أكّدت الروايات وجود كتب خاصّة يتوارثها أئمّة أهل البيت عليهم السلام، منها ما هو بإملاء رسول اللّه وهو كتاب الجامعة الذي يحتوى السُنّة النبويّة، فيعود إلى المصدر الأوّل، ومنها الكتب الإلهيّة الصحيحة غير المحرَّفة، ومنها بعض الكتب التي تحكي عن جوانب غيبيّة كمصحف فاطمة عليها السلام والجفر، وهو هذا ما نبحثه بشكل مستقلّ لاحقًا.

---

(١) راجع كتابنا: «يسألونك عن الأنبياء».

الثالث: الروح، وهو ما يتّضح من خلال البيان الآتي:

ما ورد عن الإمام الصادق عليه السلام حينما سأله إبراهيم بن عمر: أخبرني عن العلم الذي تعلمونه، أهو شيء تعلمونه من أفواه الرجال بعضكم من بعض، أو شيء مكتوب عندكم من رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم؟ فقال عليه السلام: «**الأمر أعظم من ذلك، أما سمعت قول الله عزّ وجلّ في كتابه:** ﴿وَكَذَٰلِكَ أَوۡحَيۡنَآ إِلَيۡكَ رُوحٗا مِّنۡ أَمۡرِنَاۚ مَا كُنتَ تَدۡرِي مَا ٱلۡكِتَٰبُ وَلَا ٱلۡإِيمَٰنُ﴾(١)؟ **قال: قلت: بلى. قال** عليه السلام: **فلمّا أعطاه تلك الروح علم بها، وكذلك هي إذا انتهت إلى عبد، علم بها العلم والفهم**»(٢).

من الواضح أنّ الأمرين اللذين وردا على لسان السائل (من أفواه الرجال، من الكتب الموروثة) هما من الوسائل الإنسانيّة المتعارفة، بينما الأمر في علم الإمام هو أعظم، وفي ذلك إشارة إلى كون علومهم ربّانيّة لدنيَّة، وبالتحديد هي عطية الروح من أمر الله.

(١) سورة الشورى، الآية ٥٢.
(٢) المجلسيّ، محمّد باقر، بحار الأنوار، ج٢٥، ص ٦٢.

من هو الروح؟

ورد في تفسير الروح رأيان: الأوّل: أنّه جبرئيل عليه السلام، والثاني: أنّه خلق أعظم من جبرئيل عليه السلام. وفيما يأتي سيتمّ التركيز على الرأي الثاني.

ورد عن أبي بصير قال: سألت أبا عبد اللّه الصادق عليه السلام عن قول اللّه عزّ وجلّ ﴿وَيَسۡـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلرُّوحِۖ قُلِ ٱلرُّوحُ مِنۡ أَمۡرِ رَبِّي﴾[1]، قال عليه السلام: «**خلق أعظم من جبرئيل وميكائيل... وهو من الملكوت**»[2].

تشير هذه الرواية إلى أمرين:

الأوّل: أنَّ الروح من عالم الملكوت الذي هو عالم المجرَّدات، ويُقال له: عالم الأمر مأخوذًا من قوله تعالى: ﴿قُلِ ٱلرُّوحُ مِنۡ أَمۡرِ رَبِّي﴾[3]، قبال عالم الخلق الذي هو عالم الجسمانيّات.

الثاني: أنّ الروح أعظم من جبرئيل وميكائيل.

---

(١) سورة الإسراء، الآية ٨٥.

(٢) الصدوق، محمّد، الاعتقادات في دين الإماميّة، ص ٥٠.

(٣) سورة الإسراء، الآية ٨٥.

قال المازندرانيّ في بيان وجه أعظميّة الروح من جبرئيل وميكائيل: «إنّه أعظم منهما بحسب الرتبة والعلم، ولم يثبت أنّ أحدًا من الملائكة أعظم منهما، ولأنّ الملائكة لم يعلموا جميع الأشياء كما اعترفوا به حيث قالوا: ﴿لَا عِلْمَ لَنَآ إِلَّا مَا عَلَّمْتَنَآ﴾[1]، وهذا الخلق -أي الروح- عالم بجميعها»[2].

وذكرت بعض الروايات أنّ الروح ليس من الملائكة، كما في رواية سعد الإسكاف، قال: «أتى رجل أمير المؤمنين عليه السلام يسأله عن الروح أليس هو جبرئيل؟ فقال له أمير المؤمنين عليه السلام: جبرئيل من الملائكة، والروح غير جبرئيل. فكرّر ذلك على الرجل. فقال له: لقد قلت عظيمًا من القول، ما أحد يزعم أنّ الروح غير جبرئيل. فقال له أمير المؤمنين عليه السلام: إنّك ضالّ تروي عن أهل الضلال، يقول الله لنبيّه صلى الله عليه وآله وسلم: ﴿أَتَىٰٓ أَمْرُ ٱللَّهِ فَلَا تَسْتَعْجِلُوهُ سُبْحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ

(١) سورة البقرة، الآية ٣٢.
(٢) المازندرانيّ، محمد، شرح أصول الكافي والروضة، تحقيق أبي الحسن الشعراني، ط١، بيروت، دار إحياء التراث العربي، ١٤٢١هـ، ج٦، ص٧٥.

عَمَّا يُشْرِكُونَ ۝١ يُنَزِّلُ الْمَلَائِكَةَ بِالرُّوحِ مِنْ أَمْرِهِ﴾[١]، **والروح غير الملائكة صلوات الله عليهم»**[٢].

ويظهر أنَّ هذه الروح هي المقصودة من مصطلح روح القدس الذي ورد في الرواية عن جابر الجعفيّ أنّه سأل الإمام الباقر عليه السلام عن عِلم العالم فقال عليه السلام: **«يا جابر إنّ في الأنبياء والأوصياء خمسة أرواح: روح القدس، وروح الإيمان، وروح الحياة، وروح القوّة، وروح الشهوة، فبروح القدس يا جابر، عرفوا ما تحت العرش إلى ما تحت الثرى»**[٣].

عن الحسن بن إبراهيم عن أبي عبد الله الصادق عليه السلام قال: **«في الأنبياء والأوصياء خمسة أرواح: روح البدن، وروح القدس، وروح القوّة، وروح الشهوة، وروح الإيمان. وفي المؤمنين أربعة أرواح أفقدها روح القدس: روح البدن، وروح القوّة، وروح الشهوة، وروح الإيمان. وفي الكفّار ثلاثة**

---

(١) سورة النحل، الآيتان ١-٢.

(٢) المازندرانيّ، محمد، شرح أصول الكافي والروضة، ج٦، ص ٧٨.

(٣) المصدر السابق، ص ٧٢.

أرواح: روح البدن، وروح القوّة وروح الشهوة. ثمّ قال: روح الإيمان يلازم الجسد ما لم يعمل بكبيرة، فإذا عمل بكبيرة فارقه الـروح، وروح القدس من سكن فيه، فإنّه لا يعمل بكبيرة أبدًا»[١].

وعن المفضّل بن عمر، عن أبي عبد الله الصادق عليه السلام قال: «سألته عن علم الإمام بما في أقطار الأرض وهو في بيته مرخى عليه ستره؟ فقال: يا مفضّل، إنّ الله تبارك وتعالى جعل في النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم خمسة أرواح: روح الحياة فبه دبّ ودرج، وروح القوّة، فبه نهض وجاهد، وروح الشهوة، فبه أكل وشرب وأتى النساء من الحلال، وروح الإيمان، فبه آمن وعدل، وروح القدس، فبه حمل النبوّة. فإذا قُبض النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم انتقل روح القدس، فصار إلى الإمام، وروح القدس لا ينام ولا يغفل ولا يلهو ولا يزهو، والأربعة الأرواح تنام وتغفل وتزهو وتلعب، وروح القدس كان يرى به»[٢].

---

(١) المجلسيّ، محمّد باقر، بحار الأنوار، ج٢٥، ص ٥٤.
(٢) المازندراني، محمّد، شرح أصول الكافي، ج٦، ص ٧٢.

وعن عليّ بن أسباط عن أسباط بن سالم قال: «**سأله رجل من أهل هيت- وأنا حاضر- عن قول الله عزّ وجلّ:** ﴿وَكَذَٰلِكَ أَوۡحَيۡنَآ إِلَيۡكَ رُوحٗا مِّنۡ أَمۡرِنَاۚ﴾[1] **فقال: منذ أنزل الله عزّ وجلّ ذلك الروح على محمّد صلى الله عليه وآله وسلم ما صعد إلى السماء وإنّه لفينا**»[2].

وعن أبي أيّوب الخزّاز عن أبي بصير قال: «**سمعت أبا عبد الله الصادق عليه السلام يقول:** ﴿وَيَسۡـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلرُّوحِۖ قُلِ ٱلرُّوحُ مِنۡ أَمۡرِ رَبِّي﴾[3]، **قال: خلق أعظم من جبرئيل وميكائيل، لم يكن مع أحد ممّن مضى غير محمّد صلى الله عليه وآله وسلم، وهو مع الأئمّة يسدّدهم، وليس كلّ ما طلب وجد**»[4].

وعن محمّد بن مسلم عن أبي جعفر الباقر عليه السلام في قول الله عزّ وجلّ: ﴿وَكَذَٰلِكَ أَوۡحَيۡنَآ إِلَيۡكَ رُوحٗا مِّنۡ أَمۡرِنَاۚ مَا كُنتَ تَدۡرِي مَا ٱلۡكِتَٰبُ وَلَا ٱلۡإِيمَٰنُ﴾[5]، فقال: «**خلق من خلق الله، أعظم من**

(١) سورة الشورى، الآية ٥٢.
(٢) المازندراني، محمّد، شرح أصول الكافي، ج٦، ص ٧٥.
(٣) سورة الإسراء، الآية ٨٥.
(٤) المازندراني، محمّد، شرح أصول الكافي، ج٦، ص ٧٦.
(٥) سورة الشورى، الآية ٥٢.

جبرئيل وميكائيل، كان مع رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يخبره ويسدّده، وهو مع الأئمّة من بعده»[١].

النتيجة: أنَّ علم الإمام هو ربَّانيّ لدنيّ بوساطة روح القدس الذي يواكب الأئمّة بالعلم، كما واكب النبيّ عليه السلام من قبلهم، يبقى الكلام في آلية هذه المواكبة.

آلية التواصل بين الروح والأئمّة عليهم السلام

ذكرت الروايات ثلاثة عناوين في كيفيّة حصول الأئمّة على العلم الخاصّ هي:

١- الحديث الخاصّ

عن الإمام الجواد عليه السلام أنّ أمير المؤمنين عليه السلام قال لابن عبّاس: **«إنّ ليلة القدر في كلّ سنة، وإنّه ينزل في تلك الليلة أمر السنة، ولذلك الأمر ولاة بعد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، فقلت: من هم؟ قال: أنا وأحد عشر من صلبي أئمّة محدّثون»**[٢].

(١) المازندراني، محمّد، شرح أصول الكافي، ج٦، ص ٧٤.
(٢) الكلينيّ، محمد، الكافي، ج١، ص ٢٤٧.

عن ابن أذينة عن زرارة قال: «**سمعت أبا جعفر الباقر عليه السلام يقول: الإثنا عشر الأئمّة من آل محمّد كلّهم محدّث من ولد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، وولد عليّ، فرسول الله وعليّ عليه السلام هما الوالدان**»[١].

وحول معنى المحدَّث ورد عن الحسن بن محبوب عن الأحول قال: «**سألت أبا جعفر الباقر عليه السلام عن الرسول والنبيّ والمحدّث، قال: الرسول الذي يأتيه جبرئيل قُبُلاً، فيراه ويكلّمه، فهذا الرسول. وأمّا النبيّ فهو الذي يرى في منامه نحو رؤيا إبراهيم، ونحو ما كان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم من أسباب النبوّة قبل الوحي، حتّى أتاه جبرئيل عليه السلام من عند الله بالرسالة، وكان محمّد صلى الله عليه وآله وسلم حين جمع له النبوّة وجاءته الرسالة من عند الله يجيئه بها جبرئيل، ويكلّمه بها قُبُلاً، ومن الأنبياء من جمع له النبوّة، ويرى في منامه ويأتيه الروح ويكلّمه، ويحدّثه من غير أن يكون يرى ما في اليقظة. وأمّا المحدّث فهو الذي يحدّث فيسمع، ولا**

(١) المجلسيّ، محمّد باقر، بحار الأنوار، ج٢٦، ص ٧٢.

يعاين، ولا يرى في منامه»[١].

وعن عبد الله بن بكير عن زرارة قال: **«سألت أبا عبد الله الصادق عليه السلام عن الرسول وعن النبيّ وعن المحدّث؟ فقال: الرسول الذي يعاين الملك يأتيه بالرسالة من ربّه، يقول: يأمرك كذا وكذا، والرسول يكون نبيًّا مع الرسالة. والنبيّ لا يعاين الملك ينزل عليه النبأ على قلبه، فيكون كالمغمى عليه، فيرى في منامه. قلت: فما علمه أنّ الذي رأى في منامه حقّ؟ قال: يثّبته الله حتّى يعلم أنّ ذلك حقّ ولا يعاين الملك. والمحدّث الذي يسمع الصوت ولا يرى شاهدًا»**[٢].

٢- الإلهام

الإلهام مصدر **«ألهم»**، وعُرِّف بأنّه **«حدوث علم في النفس بدون تعليم ولا تجربة ولا تفكير»**[٣].

(١) الكلينيّ، محمد، الكافي، ج١، ص١٧٦.
(٢) المجلسيّ، محمّد باقر، بحار الأنوار، ج٢٦، ص٧٨.
(٣) هذا التعريف لابن عاشور التونسي (انظر: الحيدريّ، كمال، علم الإمام، تقرير علي العبادي، ط١، قم، دار فرقد، ٢٠٠٨م، ص٢٤٧).

وقد وردت عدّة روايات حول كون الإلهام من طرق علم الأئمّة عليهم السلام منها ما روي عن عبد العزيز بن مسلم عن علي بن موسى الرضا عليه السلام في حديث طويل قال فيه: «إنّ العبد إذا اختاره الله عزّ وجلّ لأمور عباده، شرح صدره لذلك، وأودع قلبه ينابيع الحكمة، وألهمه العلم إلهامًا، فلم يَعْيَ بعده بجواب، ولا يحير فيه عن الصواب...»[1].

وكذا ما رُوي عن أبي جعفر الباقر عليه السلام قال: «إنّ لنا في ليالي الجمعة لشأنًا من الشأن، إلى أن يقول: «ويصبح الأوصياء قد ألهموا إلهامًا من العلم علمًا جمًّا مثل جمّ الغفير»[2].

وعن ابن عباس قال: سمعت رسول اللّه صلى الله عليه وآله وسلم يقول: «أعطاني الله تبارك وتعالى خمسًا وأعطى عليًّا خمسًا: أعطاني جوامع الكلم، وأعطى عليًّا جوامع العلم، وجعلني نبيًّا، وجعله وصيًّا، وأعطاني الكوثر، وأعطاه السلسبيل،

---

(١) الكلينيّ، محمّد، الكافي، ج١، ص٢٠٢.

(٢) الصفار، محمّد، بصائر الدرجات، (لا،ط)، طهران، منشورات الأعلمي، ١٤٠٤هـ، ص١٥٠.

وأعطاني الوحي، وأعطاه الإلهام...»[١].

وعن عليّ بن يقطين قال: **«قلت لأبي الحسن عليه السلام: علم عالمكم أَسَماع أم إلهام؟ قال: يكون سماعًا ويكون إلهامًا ويكونان معًا»**[٢].

٣- النقر

عن أبي بصير قال: قلت لأبي عبد الله الصادق عليه السلام: **«الذي يُسأل الإمام عنه وليس عنده فيه شيء، من أين يعلمه؟ قال: يُنكت في القلب نكتًا أو يُنقر في الأذن نقرًا»**[٣].

وعن عيسى بن حمزة الثقفيّ قال: **«قلت لأبي عبد الله الصادق عليه السلام: إنّا نسألك أحيانًا، فتسرع في الجواب، وأحيانًا تطرق، ثمّ تجيبنا. قال: إنّه نعم، ينقر وينكت**

(١) الصدوق، محمّد، الخصال، (لا،ط)، قم، منشورات جماعة المدرسين، ١٤٠٣هـ، ص٢٩٣.
(٢) الصفار، محمّد، بصائر الدرجات، ص ٣٣٧.
(٣) الصفار، محمّد، بصائر الدرجات، ص ٣٣٦.

في آذاننا وقلوبنا، فإذا نكت أو نقر نطقنا، وإذا أمسك عنّا أمسكنا»[١].

خلاصة ما تقدّم في آليات مواكبة الروح للأئمّة أنّه بوساطة الحديث الخاصّ أو الإلهام أو النقر، ويبدو أنّ هذه العناوين الثلاثة هي لمعنون واحد، ويشهد لذلك عدد من النصوص في هذا المجال، منها: عن أبي الحسن عليه السلام قال: **«...وأمّا النكت في القلوب فإلهام، وأمّا النقر في الأسماع فأمر المَلك»**[٢].

متى شاؤوا أن يعلموا يعلمهم اللّه

يبقى الكلام في كون علمهم اللدنيّ حاضراً دائماً في مطلق أحوالهم أو لا؟

صرَّحت نصوص عديدة بأنّ الإمام متى شاء أن يعلم أعلمه اللّه تعالى بذلك، من تلك الروايات ما ورد عن الإمام الصادق عليه السلام: **«إنّ الإمام إذا شاء أن يعلم علم»**[٣]،

(١) المصدر السابق نفسه.
(٢) الكلينيّ، محمّد، الكافي، ج١، ص ٢٦٤.
(٣) الكليني، محمد، الكافي، ج١، ص٢٥٨.

وفي حديث آخر عنه عليه السلام: «**إذا أراد الإمام أن يعلم شيئاً أعلمه الله ذلك**»[١] في حديث ثالث عنه عليه السلام: «**إن الإمام إذا شاء أن يعلم أعلمهم**»[٢] وقد رفض بعض العلماء هذه الروايات محتجّين بضعفها السندي[٣]، في حين قَبِلَ البعض مضمونها كالشيخ محمّد حسين المظفّر الذي قال عنها: «**وهذه الطائفة يمكن أن تكون الحدّ المعتدل والنمرقة الوسطى**»[٤].

(١) المصدر السابق نفسه.
(٢) المصدر السابق نفسه.
(٣) الحيدري، كمال، علم الأئمة، ص٣٩٧ ـ ٣٩٨.
(٤) المظفّر، محمد حسين، علم الإمام، ط٢، بيروت، دار الزهراء، ١٩٨٢، ص٦٤.



هل يعلم الأئمّة عليهم السلام الغيب؟

معنى الغيب

قال ابن منظور: «الغيب: كلّ ما غاب عنك»[١]، من دون فرق بين كون الغياب ماضيًا، أو في الحال أو في الاستقبال.

وفي المعنى اللغويّ نفسه استعمل القرآن الكريم لفظ الغيب، فعن الغيب في الماضي قال تعالى: ﴿ذَٰلِكَ مِنْ أَنبَاءِ الْغَيْبِ نُوحِيهِ إِلَيْكَ﴾[٢]، وعنه في الحاضر قال تعالى: ﴿الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ﴾[٣]، وعنه في المستقبل قال تعالى: ﴿لَّوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ الْغَيْبَ﴾[٤].

---

(١) ابن منظور، محمّد، لسان العرب، (لا،ط)، قم، نشر أدب الحوزة، ١٤٠٥هـ، ج١، ص ٦٥٤.

(٢) سورة آل عمران، الآية ٤٤.

(٣) سورة البقرة، الآية ٣.

(٤) سورة سبأ، الآية ١٤.

ويقابل الغيب الشهادة، التي تعني في اللغة الحضور، قال الراغب: «الشهادة هي الحضور[١]، سواء كان بالعين الظاهرة، أو بعين البصيرة. وكما هو حال الغيب، فقد استعمل القرآن الكريم الشهادة بالمعنى اللغويّ نفسه، قال تعالى: ﴿عَٰلِمَ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ﴾»[٢].

هل علم الغيب منحصر بالله؟

وردت عدّة آيات قرآنيّة تحصر علم الغيب بالله تعالى، من قبيل قوله تعالى:

١- ﴿وَعِندَهُۥ مَفَاتِحُ ٱلْغَيْبِ لَا يَعْلَمُهَآ إِلَّا هُوَ﴾[٣].

٢- ﴿فَقُلْ إِنَّمَا ٱلْغَيْبُ لِلَّهِ﴾[٤].

٣- ﴿قُل لَّا يَعْلَمُ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ٱلْغَيْبَ إِلَّا ٱللَّهُ﴾[٥].

لكن في مقابل هذه الآيات وردت آيات أخرى تفيد أنّ بعض عباد الله يطلعهم سبحانه على الغيب، من هذه الآيات قوله تعالى:

(١) الفيومي، أحمد، المصباح المنير، ص ٣٢٤.
(٢) سورة الزمر، الآية ٤٦.
(٣) سورة الأنعام، الآية ٥٩.
(٤) سورة يونس، الآية ٢٠.
(٥) سورة النمل، الآية ٦٥.

١- ﴿مَّا كَانَ ٱللَّهُ لِيَذَرَ ٱلْمُؤْمِنِينَ عَلَىٰ مَآ أَنتُمْ عَلَيْهِ حَتَّىٰ يَمِيزَ ٱلْخَبِيثَ مِنَ ٱلطَّيِّبِ ۗ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُطْلِعَكُمْ عَلَى ٱلْغَيْبِ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَجْتَبِى مِن رُّسُلِهِۦ مَن يَشَآءُ ۖ﴾[1].

نقل الواحديّ عن السديّ أنّ رسول اللّه صلى الله عليه وآله وسلم قال: «**عُرضت عليّ أمّتي في صورها كما عُرضت على آدم، وأُعلمتُ من يؤمن لي، ومن يكفر. فبلغ ذلك المنافقين، فاستهزءوا وقالوا: يزعم محمّد صلى الله عليه وآله وسلم أنّه يعلم من يؤمن به، ومن يكفر، ونحن معه، ولا يعرفنا، فأنزل الله تعالى هذه الآية**»[2].

٢- ﴿عَٰلِمُ ٱلْغَيْبِ فَلَا يُظْهِرُ عَلَىٰ غَيْبِهِۦٓ أَحَدًا ﴿٢٦﴾ إِلَّا مَنِ ٱرْتَضَىٰ مِن رَّسُولٍ﴾[3].

الجمع بين الآيات

إذًا، فإنّ اللّه تعالى يظهر غيبه على من ارتضى من رسول، وبالتالي، فكيف نجمع بين هذه الآية وما قبلها مع الآيات السابقة التي تحصر علم الغيب باللّه تعالى؟

---

(١) سورة آل عمران، الآية ١٧٩.

(٢) الواحدي النيسابوريّ، أسباب نزول الآيات، (لا،ط)، القاهرة، مؤسسة الحلبي، ١٣٨٨هـ، ص٨٨.

(٣) سورة الجن، الآيتان ٢٦-٢٧.

وبعبارة أخرى فيها إضافة: ممّا لا شكّ فيه أنّ النبيّ محمّدًا صلى الله عليه وآله وسلم هو على رأس من اجتبى واصطفى اللّه تعالى من رسله، وبالتالي فهو عزّ وجلّ يطلعه، ويظهر عليه غيبه، فكيف نجمع بين هذه المقولة، والآيات السابقة الحاصرة لعلم الغيب باللّه تعالى؟ بل بينها وبين قوله تعالى عن لسان رسوله محمّد صلى الله عليه وآله وسلم: ﴿وَلَوْ كُنتُ أَعْلَمُ الْغَيْبَ لَاسْتَكْثَرْتُ مِنَ الْخَيْرِ﴾[1]؟

والجواب: أنّ التأمّل في مجموع الآيات يفيد أمرين:

الأوّل: أنّ علم الغيب محصور باللّه تعالى استقلالاً، فلا يمكن لأحد أن يعرفه مستقلاًّ عن اللّه تعالى، وهذا هو تفسير الآيات الثلاث الحاصرة لعلم الغيب باللّه عزّ وجلّ، إلاّ أنّ هذا لا يمنع أن يتفضّل اللّه تعالى على بعض عباده بإطلاعه على بعضٍ من علم الغيب، فيكون هذا البعض عالمًا بالغيب بالتبع لا بالاستقلال، ولهذا نظير في القرآن الكريم، فهو ينسب توفّي الأنفس إلى اللّه تعالى بقوله: ﴿اللَّهُ يَتَوَفَّى الْأَنفُسَ حِينَ مَوْتِهَا وَالَّتِي لَمْ تَمُتْ فِي مَنَامِهَا﴾[2]، بينما نلاحظ أنّه

(١) سورة الأعراف، الآية ١٨٨.
(٢) سورة الزمر، الآية ٤٢.

عزّ وجلّ ينسب التوفّي في بعض الآيات الأخرى إلى غيره، بقوله تعالى: ﴿قُلْ يَتَوَفَّاكُم مَّلَكُ الْمَوْتِ الَّذِي وُكِّلَ بِكُمْ﴾[١]، ويقول تعالى: ﴿وَهُوَ الْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِ وَيُرْسِلُ عَلَيْكُمْ حَفَظَةً حَتَّىٰ إِذَا جَاءَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ تَوَفَّتْهُ رُسُلُنَا وَهُمْ لَا يُفَرِّطُونَ﴾[٢].

والجمع بين هذه الآيات هو أنّ التوفيّ بالاستقلال وبالذات هو لله تعالى، وهذا لا يتنافى مع كون التوفّي بالعرَض وبالتبع هو لغيره من الملائكة.

وكذلك الحال في قوله تعالى: ﴿اللَّهُ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ﴾[٣]، وقوله عزّ وجلّ: ﴿أَنِّي أَخْلُقُ لَكُم مِّنَ الطِّينِ كَهَيْئَةِ الطَّيْرِ فَأَنفُخُ فِيهِ فَيَكُونُ طَيْرًا بِإِذْنِ اللَّهِ﴾[٤]، فالخلق الذي يعني التشكيل من مادّة سابقة هو لله بالذات والاستقلال، كحالة الإبداع والإيجاد من العدم، وفي الوقت نفسه صحّ نسبة الخلق بالعرض وبالتبع لله إلى النبيّ عيسى عليه السلام.

(١) سورة السجدة، الآية ١١.
(٢) سورة الأنعام، الآية ٦١.
(٣) سورة الزمر، الآية ٦٢.
(٤) سورة آل عمران، الآية ٤٩.

وهكذا الحال في قوله تعالى: ﴿فَإِنَّ ٱلۡعِزَّةَ لِلَّهِ جَمِيعٗا﴾[١]، وقوله عزّ وجلّ: ﴿وَلِلَّهِ ٱلۡعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِۦ وَلِلۡمُؤۡمِنِينَ﴾[٢].

الثاني: أنّ الملاحظ في الآية النافية لعلم النبيّ محمّد صلى الله عليه وآله وسلم الغيب أنّ النفي كان في صيغة الإنسان المتكلّم المتناسبة مع استقلاله بالعلم، ففي الآية: ﴿وَلَوۡ كُنتُ﴾[٣] بتاء ضمير المتكلّم و ﴿أَعۡلَمُ﴾[٤] بضمير المتكلّم المستتر، و﴿لَٱسۡتَكۡثَرۡتُ﴾[٥] بتاء ضمير المتكلّم، فكأنّه يقول: «**أنا بنفسي مستقلاًّ عن الله لا أعلم الغيب**».

أمّا آية إطلاع الله تعالى وإظهاره للغيب فإنّها أتت بصيغة فاعلها هو الله تعالى، ففي الآيتين السابقتين ورد: ﴿لِيُطۡلِعَكُمۡ﴾[٦] أي الله، و﴿يَجۡتَبِي﴾[٧] أي الله، و﴿فَلَا يُظۡهِرُ﴾[٨]

(١) سورة النساء، الآية ١٣٩.
(٢) سورة المنافقون، الآية ٨.
(٣) سورة الأعراف، الآية ١٨٨.
(٤) سورة الأعراف، الآية ١٨٨.
(٥) سورة الأعراف، الآية ١٨٨.
(٦) سورة آل عمران، الآية ١٧٩.
(٧) سورة آل عمران، الآية ١٧٩.
(٨) سورة الجن، الآية ٢٦.

أي اللّه و﴿مَنِ ٱرۡتَضَىٰ﴾[1] أي اللّه.

والخلاصة أنّ هذه الصيغ تفيد الآتي:

أنا الإنسان، ولو كنتُ خاتم الأنبياء، فإنّي لا أعلم من نفسي الغيب؛ لأنّ الغيب بيد اللّه، وبالتالي هو الذي يطلعه ويظهره على من يشاء.

اللّه يخبر أنبياءه الغيب

بناءً على ما تقدّم نعرض جملة من الآيات التي أظهر اللّه تعالى الغيب فيها لبعض أنبيائه وعباده الصالحين، وهي:

١- قوله تعالى: ﴿غُلِبَتِ ٱلرُّومُ ۝٢ فِيٓ أَدۡنَى ٱلۡأَرۡضِ وَهُم مِّنۢ بَعۡدِ غَلَبِهِمۡ سَيَغۡلِبُونَ ۝٣ فِي بِضۡعِ سِنِينَۗ﴾[2].

نزلت هذه الآيات في أعقاب الحرب التي دارت بين الروم والفرس، وهما الدولتان اللتان كانتا تسيطران على العالم القديم، وكانتا تتنازعان على بلاد الشام وغيرها، حيث أخبرت عن أمر غيبيّ يقع في المستقبل القريب.

قال الزحيليّ في تفسيره: «وهذا إخبار بالغيب عن أمر

(١) سورة الجن، الآية ٢٧.
(٢) سورة الروم، الآيات ٢-٤.

في المستقبل وأيّده الواقع، وقد نزلت الآيات حين غلب «سابور» ملك الفرس على بلاد الشام، وما والاها من بلاد الجزيرة، وأقاصي بلاد الروم، فاضطرّ «هرقل» ملك الروم، حتى ألجأه إلى القسطنطينيّة، وحاصره فيها مدّة طويلة، ثمّ عادت الدولة لهرقل. فبعد نزول سورة الروم سنة ٦٢٢م ببضع سنين (في سنة ٦٢٧م) أحرز هرقل أوّل نصر حاسم للروم على الفرس في «نينوى» على نهر دجلة، وانسحب الفرس لذلك من حصارهم للقسطنطينيّة، ولقي كسرى «أبرويز» مصرعه سنة ٦٢٨م على يد ولده»[(١)].

٢- قوله تعالى: ﴿لَّقَدْ صَدَقَ ٱللَّهُ رَسُولَهُ ٱلرُّءْيَا بِٱلْحَقِّ لَتَدْخُلُنَّ ٱلْمَسْجِدَ ٱلْحَرَامَ إِن شَآءَ ٱللَّهُ ءَامِنِينَ مُحَلِّقِينَ رُءُوسَكُمْ وَمُقَصِّرِينَ لَا تَخَافُونَ فَعَلِمَ مَا لَمْ تَعْلَمُوا۟ فَجَعَلَ مِن دُونِ ذَٰلِكَ فَتْحًا قَرِيبًا﴾[(٢)]، فقد أخبر رسول اللّه صلى الله عليه وآله وسلم المسلمين بأنّهم سوف يفتحون «مكّة» في المستقبل، وقد وقع ذلك فعلاً،

(١) الزحيليّ، وهبة، التفسير المبين في العقيدة والشريعة والمنهج، ط١، بيروت، دار الفكر، ١٤١١هـ، ج٢١، ص٤٩.
(٢) سورة الفتح الآية ٢٧.

ومن الواضح أنّ ذلك إخبار عن الغيب أطلع اللّٰه تعالى نبيّه صلى الله عليه وآله وسلم عليه من خلال الرؤيا.

٣- قوله تعالى: ﴿وَأَوۡحَيۡنَآ إِلَىٰٓ أُمِّ مُوسَىٰٓ أَنۡ أَرۡضِعِيهِۖ فَإِذَا خِفۡتِ عَلَيۡهِ فَأَلۡقِيهِ فِي ٱلۡيَمِّ وَلَا تَخَافِي وَلَا تَحۡزَنِيٓۖ إِنَّا رَآدُّوهُ إِلَيۡكِ وَجَاعِلُوهُ مِنَ ٱلۡمُرۡسَلِينَ﴾[1]. حيث دلّت على اطّلاع أمّ موسى عليه السلام على الغيب، مع أنّها ليست من الأنبياء والأوصياء[2].

علم الأئمّة بالغيب

بناءً على ما تقدّم، فإنّ السؤال عن علم الأئمّة بالغيب هو سؤال عن أمر ممكن غير مستحيل، ينحصر بالنصّ الدينيّ من قرآن كريم وأحاديث شريفة، إذ لا يمكن للعقل أن يثبت وجوده.

وبالفعل ورد في الروايات ما يؤكّد أنّ اللّٰه تعالى قد أنعم على الأئمّة عليهم السلام بمنحهم عطيّة علم الغيب بكثيرٍ من الأمور، وهذا ما نعرضه في العناوين الآتية:

(١) سورة القصص، الآية ٧.
(٢) الطباطبائي، محمّد حسين، تفسير الميزان، ج١٦، ص ٨٧.

I- النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم يعلِّم الغيب أهل بيته عليهم السلام

ورد عن الرسول الأكرم صلى الله عليه وآله وسلم: «**ما من أرض مخصّبة ولا مجدبة، ولا فئة تضلّ مئة وتهدي مئة إلاّ أنا أعلمها، وقد علَّمتها أهل بيتي**»[1].

II- وراثة علم الغيب من النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم

تكاثرت الروايات عن وراثة أهل البيت عليهم السلام لرسول اللّه صلى الله عليه وآله وسلم، ومن جملة ما ورثوه ما يتعلّق بعلم الغيب، وفي هذا وردت النصوص الآتية:

١- عن الإمام الرضا عليه السلام في جواب عمرو بن هذّاب، حينما نفى عن الأئمّة عليهم السلام علم الغيب متذرّعًا بأنّ الغيب لا يعلمه إلاّ اللّه تعالى، قال عليه السلام: «**أوليس اللّه يقول:** ﴿عَـٰلِمُ ٱلْغَيْبِ فَلَا يُظْهِرُ عَلَىٰ غَيْبِهِۦٓ أَحَدًا ﴿٢٦﴾ إِلَّا مَنِ ٱرْتَضَىٰ مِن رَّسُولٍ﴾[2]، **فرسول اللّه عند اللّه مرتضى، ونحن ورثة ذلك الرسول الذي أطلعه اللّه على ما شاء من غيبه،**

(١) الصفار، محمّد، بصائر الدرجات، ص ٣١٧.
(٢) سورة الجن، الآيتان ٢٦-٢٧.

فعلمنا ما كان، وما يكون إلى يوم القيامة»[١].

٢- عن عبد اللّه بن جندب أنّه كتب إليه أبو الحسن الرضا عليه السلام: «**أمّا بعد، فإنّ محمّدًا صلى الله عليه وآله وسلم كان أمين الله في خلقه، فلمّا قُبض صلى الله عليه وآله وسلم كنّا أهل البيت ورثته، فنحن أُمناء الله في أرضه، عندنا علم البلايا والمنايا، وأنساب العرب، ومولد الإسلام، وإنّا لنعرف الرجل إذا رأيناه بحقيقة الإيمان، وحقيقة النفاق، وإنّ شيعتنا لمكتوبون بأسمائهم وأسماء آبائهم، أخذ الله علينا وعليهم الميثاق، يردون موردنا، ويدخلون مدخلنا، ليس على ملّة الإسلام غيرنا وغيرهم. نحن النجباء النجاة، ونحن أفراط الأنبياء، ونحن أبناء الأوصياء، ونحن المخصوصون في كتاب الله عزّ وجلّ، ونحن أولى الناس بكتاب الله، ونحن أولى الناس برسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ...**»[٢].

٣- عن ضريس الكناسيّ قال: كنت عند أبي عبد اللّه الصادق عليه السلام وعنده أبو بصير، فقال أبو عبد اللّه عليه السلام: «**إنّ**

---

(١) المجلسيّ، محمّد باقر، بحار الأنوار، ج٤٩، ص ٧٥.
(٢) الكلينيّ، محمّد، الكافي، ج١، ص٢٢٣.

داود عليه السلام ورث علم الأنبياء عليهم السلام، وإنّ سليمان عليه السلام ورث داود عليه السلام، وإنّ محمّدًا صلى الله عليه وآله وسلم ورث سليمان عليه السلام، وإنّا ورثنا محمّدًا صلى الله عليه وآله وسلم، وإنّ عندنا صحف إبراهيم عليه السلام وألواح موسى عليه السلام ...»[1].

III- الإمام عليّ عليه السلام يفصح بعلمه الغيب

أعلن الإمام علي عليه السلام عن علمه بالغيب في أكثر من مقام، فعنه عليه السلام:

١- «والله لو شئت أن أخبر كلّ رجل منكم بمخرجه ومولجه وجميع شأنه لفعلت، ولكن أخاف أن تكفروا فيّ برسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، ألا وإنّي مفضيه إلى الخاصّة ممّن يؤمَن ذلك منه. والذي بعثه بالحقّ، واصطفاه على الخلق، ما أنطق إلاّ صادقًا، وقد عهد إليّ بذلك كلّه، وبمهلك من هلك، ومَنجى من ينجو، ومآل هذا الأمر، وما أبقى صلى الله عليه وآله وسلم شيئًا يمرّ على رأسي إلاّ أفرغه في أذني، وأفضى به إليّ»[2].

(١) المصدر السابق، ص٢٢٥.
(٢) المجلسي، محمد باقر، بحار الأنوار، ج٣٤، ص٢١٧.

٢- «أمّا بعدَ حمدِ الله والثناءِ عليه، أيّها الناس: فأنا فقأت عين الفتنة، ولم يكن ليجترئ عليها أحدٌ غيري بعد أن ماج غيهبُها، واشتدّ كَلَبُها. فاسألوني قبل أن تفقدوني، فوالذي نفسي بيده لا تسألوني عن شيء فيما بينكم وبين الساعة، ولا عن فئة تهدي مئة وتضلّ مئة، إلاّ أنبأتكم بناعقها، وقائدها، وسائقها، ومُناخ ركابها، ومحطّ رحالها، ومن يُقتل من أهلها قتلاً، ومن يموت منهم موتًا...»[1].

IV- الأئمّة من ولد أمير المؤمنين عليه السلام يعلنون علمهم بالغيب

١- عن الإمـام الصادق عليه السلام: «والله لقد أُعطينا علم الأوّلين والآخرين». فقال له رجل من أصحابه: جعلت فداك أعندكم علم الغيب؟ فقال له عليه السلام: «ويحك، إنّي أعلم ما في أصلاب الرجال وأرحام النساء. ويحكم وسّعوا صدوركم ولتبصر أعينكم، ولتعِ قلوبكم...»[2].

---

(١) المصدر السابق، ج٤١، ص ٣٤٨.
(٢) المصدر السابق، ج٢٦، ص ٢٧.

٢- عن أبي بصير عن الإمام الباقر عليه السلام قال: «...والذي نفسي بيده إنّي لأعلم علم النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم، وعلم ما كان، وعلم ما هو كائن فيما بيني وبين قيام الساعة»[1].

الأئمّة وعلمهم بآجالهم

سؤال

إذا كان الأئمّة عليهم السلام يعلمون الغيب، فهل يعلمون بساعة أجلهم؟ وإن علموا بذلك ألا يكون إقدامهم الاختياريّ انتحارًا؟

فالإمام عليّ عليه السلام إن كان يعلم بضربه بالسيف في الليلة التاسعة من شهر رمضان في تلك السنة، وأنّ ذلك يحصل في المسجد، وعلى يد شخص محدَّد يعرفه، ورآه قبيل الصلاة، ألا تعدّ صلاته نوعًا من الإقدام على التهلكة؟

وهكذا الحال بالنسبة للإمام الحسن عليه السلام والسمّ، وسائر الأئمّة عليهم السلام من ولُد الإمام الحسين عليه السلام.

---

(١) المصدر السابق، ص ١١٠.

الجواب:

إنّ الأئمّة عليهم السلام يعملون بحسب تكاليفهم الإلهيّة، وإن كانوا يعلمون أنّها ستؤدّي إلى قتلهم، ومن الطبيعيّ أنّ تكليف العالم بالعلم الخاصّ المكشوف له باب الواقع يختلف عن تكليف غيره، لذا فالإمام عليّ عليه السلام خرج إلى المسجد امتثالاً لأمر اللّه تعالى، وهذا ما أوضحه الإمام الرضا عليه السلام في جوابه لمن سأله عن سبب خروجه إليه مع علمه بما يحصل، قال عليه السلام: **«ولكنّه خُيِّر في تلك الليلة؛ لتمضي مقادير اللّه عزّ وجلّ»**[١]، وهذا يعني أنّه باختياره ذهب ممتثلاً تكليفه الإلهيّ. وما يزيد الجواب وضوحًا ما ورد عن الإمام الباقر عليه السلام: **«يا حمران، إنّ اللّه تبارك وتعالى قد كان قدّر ذلك عليهم، وقضاه، وأمضاه، وحتَّمه على سبيل الاختيار، ثمّ أجراه، فبِتقدُّمِ علمٍ إليهم من رسول اللّه صلى الله عليه وآله وسلم قام عليّ والحسن والحسين عليهم السلام، وبعلمٍ صمت من صمت منّا»**[٢].

(١) المازندراني، محمّد، شرح أصول الكافي، ص ٣٩.
(٢) الكلينيّ، محمّد، الكافي، ج١، ص ٢٦٢.

قال العلاّمة المجلسيّ في مقام توضيح الجواب:

«إنّ أحكامهم الشرعيّة منوطة بالعلوم الظاهريّة، لا بالعلوم الإلهاميّة»[١]. وقال الشيخ المفيد: «إذا كان لا يمتنع أن يتعبّده اللّه بالصبر على الشهادة، والاستسلام للقتل؛ ليبلغه اللّه بذلك من علوّ الدرجة ما لا يبلغه إلاّ به...، ويكون في المعلوم من اللطف بهذا التكليف لخلقٍ من الناس ما لا يقوم مقامه غيره، فلا يكون بذلك أمير المؤمنين عليه السلام ملقيًا بيده إلى التهلكة، ولا معينًا على نفسه معونة مستقبَحة في العقول»[٢].

لَفْت

لا يخفى أنّ الإشكال السابق حول علم الأئمّة عليهم السلام بآجالهم لا يرد على المبنى القائل: إنّ الإمام متى شاء أن يعلم أعلمه اللّه تعالى بذلك، والذي أشرنا إليه سابقاً في آخر البحث عن كون علم الإمام لدنيّاً، فإنه على ذلك المبنى يكون قد أقدم على أجله بدون أن يشاءَ عِلْمَ ذلك.

(١) المجلسي، محمّد باقر، بحار الأنوار، ج٤٨، ص٢٣٦.

(٢) المفيد، محمّد، المسائل العكبريّة، تحقيق علي أكبر الإلهي الخراساني، ط٢، بيروت، دار المفيد، ١٤١٤هـ، ص٧٠.

8

ما هي حقيقة ودلالة كتب الأئمّة عليهم السلام المتوارثة؟

ذكرنا سابقًا أنّ الروايات أكّدت وجود العديد من الكتب التي توارثها الأئمّة إمامًا من إمام، ونعرض هنا أهمّ هذه الكتب مع بيان حقيقتها، ودلالتها بالنسبة للأئمّة الأطهار عليهم السلام.

١ - الجفر

الجفر في اللغة

الجفر لغةً يأتي بأربعة معانٍ:

1- ولد الشاة (وهي الواحدة من الغنم) الذي عظم واستكرش واتسع جنباه[١].

(١) الفيومي، أحمد، المصباح المنير، ص ١٠٣. ابن فارس، أحمد، معجم مقاييس اللغة، تحقيق عبد السلام محمد هارون، (لا،ط)، (لا،م)، مكتبة الإعلام الإسلامي، ١٤٠٤هـ، ج١، ص٤٦٦.

II- البئر الواسعة التي لم تُبْنَ بالحجارة[١].

III- الصبيّ إذا انتفخ لحمه، وصار له كرش[٢].

IV- الجمل الصغير[٣].

الجفر في الروايات

فسّرت الروايات الجفر بأنّه جلد شاة[٤]، وفي بعضها هو جلد ثور[٥]، وحول حقيقة هذا الجلد ووظيفته عرضت الروايات معاني أربعة للجفر هي:

١- الجفر الأبيض

وهو عبارة عن وعاء (حقيبة) من جلد شاة يحتوي على مجموعة من الكتب المقدّسة وهي:

١- صحف إبراهيم عليه السلام.

---

(١) الزبيديّ، محمّد، تاج العروس، ج٤، ص ١٤٣. ابن منظور، محمّد، لسان العرب، ج٤، ص١٤٣.

(٢) الزمخشريّ، أساس البلاغة، (لا،ط)، القاهرة، دار الشعب، ١٩٦٠م، ص ٦١. ابن منظور، محمّد، لسان العرب، ج٤، ص١٤٢.

(٣) ابن منظور، محمّد، لسان العرب، ج٤، ص١٤٢. الزبيدي، محمّد، تاج العروس، ج٣، ص١٠٤.

(٤) المجلسيّ، محمّد باقر، بحار الأنوار، ج٢٦، ص ٤٦.

(٥) الكلينيّ، محمّد، الكافي، ج١، ص ٢٤١.

٢- توراة موسى عليه السلام.

٣- زبور داود عليه السلام.

٤- إنجيل عيسى عليه السلام.

٥- كتب الله الأولى، كصحف إدريس عليه السلام.

٦- مصحف فاطمة عليها السلام.

٧- كتاب الجامعة.

وقد مرّ الكلام عن كتاب الجامعة بأنّه كتاب السُنّة النبويّة، وسيأتي الحديث عن مصحف فاطمة.

٢- الجفر الأحمر

وهو عبارة عن وعاء (حقيبة) أيضًا من جلد شاة يحتوي على سلاح رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فعن الإمام الصادق عليه السلام وهو يصف الجفرين الأبيض والأحمر: «**أنّهما لأهابان عليهما أصوافهما وأشعارهما، مدحوسين كتبًا في أحدهما، وفي الآخر سلاح رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم**»[١].

(١) المجلسيّ، محمّد باقر، بحار الأنوار، ج٢٦، ص٣٨.

٣- جلد الثور

استقربنا في كتابنا: «حقيقة الجفر عند الشيعة» أن يكون جلد الثور عبارة عن وعاء (حقيبة) كبير يحتوي الجفرين الأبيض والأحمر»[١].

٤- كتاب الجفر

ذكرت الروايات أنّ من بين الكتب المتوارثة عند الأئمّة كتاب الجفر الذي يحتوي على «علم المنايا والبلايا والرزايا وعلم ما كان وما يكون إلى يوم القيامة»[٢].

وفي رواية أنّ محتوى الجفر هو منحة من اللّه تعالى لنبيِّه محمّد صلى الله عليه وآله وسلم الذي أملى مضمونه على الإمام عليّ عليه السلام، فخطّه عليه السلام بيده[٣].

ويبدو من حجمه (جلد شاة فقط) أنّه كُتِب بطريقة خاصّة يفهمها الأئمّة عليهم السلام بما يضفي عليه سريّة تامّة عبَّرت

(١) انظر: بركات، أكرم، حقيقة الجفر عند الشيعة، ط٦، بيروت، بيت السراج، ٢٠١٢م، ص ٥٣.

(٢) الصدوق، محمّد، كمال الدين، (لا،ط)، قم، مؤسسة النشر الإسلامي، ١٤٠٥هـ، ج٢، ص ٣٥٣.

(٣) بركات، أكرم، حقيقة الجفر عند الشيعة، ص ٦٠- ٦١.

عنها بعض الروايات بأنّه لا ينظر فيه إلاّ نبيّ أو وصيّ نبيّ[١].

وقد كان الأئمّة عليهم السلام يستندون في علومهم الخاصّة إلى الجفر دلالةً على التوارث الربّانيّ الذي يدلّ على نسق الإمامة الواحد الذي يرجع بتلك الوراثة إلى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم مملي مضمون هذا الجفر، وفي هذا دلالة على إمامتهم.

٢ - مصحف فاطمة عليها السلام

ورد ذكر مصحف فاطمة في روايات عديدة بعضها معتبر السند، من قبيل الرواية الصحيحة التي رواها الكلينيّ قدس سره في كتابه الكافي بسنده عن أبي عبيدة قال: «سأل أبا عبد الله بعضُ أصحابنا عن الجفر فقال: هو جلد ثور مملوء علمًا، قال: فالجامعة؟ قال: تلك صحيفة طولها سبعون ذراعًا في عرض الأديم مثل فخذ الفالج، فيها كلّ ما يحتاج الناس إليه، وليس من قضية إلاّ وهي فيها، حتى أرش الخدش، قال: فمصحف فاطمة عليها السلام؟ قال: فسكت طويلاً، ثمّ قال: إنّكم لتبحثون عمّا تريدون، وعمّا لا تريدون. إنّ فاطمة

(١) الصدوق، محمّد، عيون أخبار الإمام الرضا عليه السلام، ج١، ص ٣١.

مكثت بعد رَسُول الله صلى الله عليه وآله وسلم خمسة وسبعين يومًا، وكان دخلها حزن شديد على أبيها، وكان جبرائيل عليه السلام يأتيها فيحسن عزاءها على أبيها، ويطيّب نفسها، ويخبرها عن أبيها ومكانه، ويخبرها بما يكون في ذريّتها، وكان عليّ عليه السلام يكتب ذلك، فهذا مصحف فاطمة عليها السلام»[١].

حدَّدت هذه الرواية جملة من العناوين المتعلّقة بحديث الملك مع السيّدة الزهراء عليها السلام وهي:

١- المملي هو الملك جبرئيل عليه السلام

٢- المملى عليها هي السيّدة فاطمة الزهراء عليها السلام

٣- الكاتب هو أمير المؤمنين عليّ بن أبي طالب عليه السلام

٤- المناسبة هي التعزية بعد رحيل رسول اللّه صلى الله عليه وآله وسلم

٥- الكتاب هو مصحف فاطمة عليها السلام.

أسئلة حول مصحف فاطمة عليها السلام

لتوضيح العديد من الحقائق حول هذا الكتاب نجيب عن الأسئلة الآتية:

(١) الكلينيّ، محمّد، الكافي، ج١، ص٢٤١.

س١: ما معنى مصحف؟

قد يظنّ البعض أنّ كلمة المصحف هنا تعني القرآن، وهذا غير صحيح في الواقع، فالمصحف كما نصّ أهل اللغة، هو «**الجامع للصحف المكتوبة بين الدفّتين**»[١]، وهو تعبير آخر عمّا نطلق عليه هذه الأيام «**الكتاب المجلّد**»، لهذا نلاحظ أنّ الجاحظ سمّى كلّ جزء من أجزاء كتابه «**الحيوان**» بـ «**مصحف**»، وكتب في نهاية الجزء الأوّل: «**تمَّ المصحف الأوّل، ويتلوه المصحف الثاني من كتاب الحيوان**»، وكتب في نهاية الجزء الثاني: «**كمل المصحف الثاني من كتاب الحيوان**» وهكذا...[٢].

قال الدكتور ناصر الدين الأسد في مصادر الشعر

---

(١) الجوهريّ، إسماعيل، الصحاح، تحقيق أحمد عبد الغفور العطار، ط٤، بيروت، دار العلم للملايين، ١٤٠٧هـ، ج٤، ص١٣٨٤، ابن منظور، محمّد، لسان العرب، (لا،ط)، قم، نشر أدب الحوزة، ١٤٠٥هـ، ج٩، ص١٨٦. الفراهيدي، الخليل، كتاب العين، تحقيق مهدي المخزومي وخليل السامرائي، ط٢، قم، مؤسسة دار الهجرة، ١٤٠٩هـ، ، ج٣، ص١٢٠. الزبيدي، محمّد، تاج العروس، تحقيق علي شيري، (لا،ط)، بيروت، دار الفكر، ١٤١٤هـ، ج٦، ص١٦١.

(٢) انظر: الجاحظ، أبا عثمان، الحيوان، تحقيق عبد السلام محمد هارون، بيروت، دار إحياء التراث العربي، ج١، ص٣٨٨، ج٢، ص٣٧٥، ج٣، ص٥٣٩، ج٤، ص٤٩٢، ج٥، ص٦٠٤، ص٥١٢، ج٧، ص٢٦٣.

الجاهليّ: «**وكانوا كذلك يطلقون على الكتاب المجموع لفظ المصحف، ويقصدون به مطلق الكتاب لا القرآن وحده**»[(١)].

ومع أنّ المصحف كثر استعماله في القرآن الكريم بعد مجيء الإسلام، وأصبح مشهورًا في هذا المعنى، إلاّ أنّ شهرته هذه لم تلغِ استعماله في معناه اللغويّ الواسع، بل لم يثبت وضع لفظ مصحف للقرآن الكريم، لا في الكتاب العزيز الذي لم يرد فيه كلمة «**المصحف**» أصلاً ولا في السنّة النبويّة.

إذًا لا يصحّ الاعتماد على تسمية كتاب فاطمة عليها السلام بـ مصحف فاطمة عليها السلام ، لاتّهام الشيعة بوجود قرآن خاصّ باسم مصحف فاطمة عليها السلام .

٢- ما هو محتوى مصحف فاطمة ؟

تعرضت روايــات مصحف فاطمة عليها السلام لمحتواه بعنوانين: المحتوى المنفيّ، والمحتوى المُثبَت.

(١) الأسد، ناصر الدين، مصادر الشعر الجاهليّ، ط٤٠، القاهرة، دار المعارف، ١٩٦٩م، ص١٣٩.

المحتوى المنفيّ:

نفت الروايات اشتمال مصحف فاطمة على أمرين هما:

أ- القرآن

ومن تلك الروايات الواردة عن الإمام جعفر الصادق عليه السلام:

- «...وخلّفت فاطمة مصحفًا ما هو قرآن»[١].
- «...ومصحف فاطمة، أما والله ما أزعم أنّه قرآن»[٢].
- «عندي مصحف فاطمة، ليس فيه شيء من القرآن»[٣].
- «... مصحف فاطمة، ما فيه شيء من كتاب الله»[٤].
- «... وعندنا والله مصحف فاطمة، ما فيه آية من كتاب الله»[٥].
- «... وعندنا مصحف فاطمة، أما والله ما فيه حرف من القرآن»[٦].

(١) المجلسيّ، محمّد باقر، بحار الأنوار، ج٢٦، ص٤١-٤٢.
(٢) المصدر السابق، ص ٤٥.
(٣) المصدر السابق، ص٤٥.
(٤) المصدر السابق، ص ٤٨.
(٥) المصدر السابق، ج٤٧، ص ٢٧١.
(٦) المصدر السابق، ج٢٦، ص ٤٦.

ب- الأحكام الشرعيّة

في رواية حمّاد بن عثمان عن الإمام الصادق عليه السلام: «تظهر الزنادقة في سنة ثمان وعشرين ومائة، وذلك أنّي نظرت في مصحف فاطمة... أمّا أنّه ليس فيه شيء من الحلال والحرام، ولكن فيه علم ما يكون»(١).

المحتوى المثبَت

ورد في الروايات ما يدلّ على احتواء مصحف فاطمة على الأمور الآتية:

١- مقام النبيّ الأعظم صلى الله عليه وآله وسلم

في صحيحة أبي عبيدة عن الإمام الصادق عليه السلام: «... وكان جبرئيل يأتيها، فيحسن عزاءها على أبيها، ويطيّب نفسها، ويخبرها عن أبيها ومكانه... وكان عليّ يكتب ذلك في مصحف فاطمة»(٢).

(١) الكلينيّ، محمّد، الكافي، ج١، ص ٢٤٠.
(٢) المصدر السابق، ص ٢٤١.

٢- مستقبل ذريّة الزهراء عليها السلام

وفي نفس الرواية السابقة: «...ويخبرها بما يكون بعدها في ذريّتها»[١].

٣- الحوادث المستقبليّة

عن الإمام الصادق عليه السلام: «...وأمّا مصحف فاطمة، ففيه ما يكون من حادث»[٢].

وفي رواية أخرى تقدّمت: «...فيه علم ما يكون»[٣].

٤- أسماء الأنبياء والأوصياء

عن الإمام الصادق عليه السلام: «ما من نبيّ ولا وصيّ...إلاّ وهو في كتاب عندي»[٤] - يعني مصحف فاطمة عليها السلام[٥].

٥- أسماء الملوك

عن الإمام الصادق عليه السلام: «وأمّا مصحف فاطمة،

(١) المصدر السابق نفسه.
(٢) المجلسيّ، محمّد باقر، بحار الأنوار، ج٢٦، ص ١٨.
(٣) الكلينيّ، محمّد، الكافي، ج١، ص ٢٤٠. المجلسيّ، محمّد باقر، بحار الأنوار، ج٤٧، ص٣٢.
(٤) ابن بابويه، علي، الإمامة والتبصرة، تحقيق ونشر مدرسة الإمام المهدي، قم، ١٤٠٤هـ، ص ٥١.
(٥) المجلسيّ، محمّد باقر، بحار الأنوار، ج٤٧، ص٣٢.

فيه ما يكون من حادث، وأسماء من يملك إلى أن تقوم الساعة»[١].

استفادة من روايات المحتوى

إنّ المتأمّل في محتوى مصحف فاطمة بحسب الروايات الـواردة فيه يستفيد أنّـه كتاب يتحدّث عن تاريخ البشريّة ومستقبلها بأحداثها الماضية والآتية، ففيه أسماء الأنبياء والأوصياء. ونحن نعرف أنّ أوّل إنسان كان نبيًّا، وهذا يعني أنّه تناول تاريخ البشريّة من أوّله، وفيه أسماء الملوك إلى أن تقوم الساعة. وهذا يعني أنّه تناول مستقبل البشريّة انتهاءً بآخره. والأمر ليس مقتصرًا على أسماء الأنبياء والأوصياء والملوك بل على جميع الحوادث، وفيه حديث عن مستقبل ذريّتها، وهـذا يعني أنّـه يتضمّن الحديث عن دولـة الحقّ العالميّة بقيادة حفيدها الإمـام المهدي عجّل الله فرجه الشريف. إذًا مصحف فاطمة عليها السلام هو كتاب المخطّط الإلهيّ لقافلة البشريّة منذ وجودها إلى قيام الساعة.

---

(١) المصدر السابق، ج٢٦، ص ١٨.

من هنا نفهم كون حديث المصحف هو لعزاء الزهراء عليها السلام وتطييب نفسها؛ لأنّ المأساة التي ستجري على ذريّتها -رغم حجمها الكبير- إلاّ أنّها ستنتهي بتحقيق حفيدها التاسع للمشروع الإلهيّ الأتمّ، لحلم الأنبياء والأوصياء، لدولة العدل العالميّة.

ممّا لا شكّ فيه أنّ هذا النوع من الإخبار فيه تطييب لنفسها، وعزاء بمصيبتها بأبيها، لكون مشروعه الإلهيّ لن يستطيع أحد أن يطفئه، بل سيتحقّق بعد حين.

استفادة من نزول جبرئيل

لقد استفاد الإمام الخمينيّ قدس سره من نزول جبرئيل على السيّدة الزهراء عليها السلام مقامًا عظيمًا عبّر عنه بقوله: **«مسألة مجيء جبرئيل إلى شخص ليست مسألة عاديّة، لا تتصوّر أنّ جبرئيل يأتي إلى أيّ شخص، أو أنّ من الممكن أن يأتي، إنّ هذه بحاجة إلى تناسب بين روح ذلك الشخص الذي يأتي جبرئيل إليه وبين مقام جبرئيل ...»**.

إنّ هذه الفضيلة للزهراء عليها السلام، على الرغم من عظمة

كلّ فضائلها الأخرى، تعدّ من أعلاها، حيث لم يتحقّق مثلُها لغير الأنبياء، بل لم يتحقّق مثلُها لجميع الأنبياء، وإنّما للطبقة العليا منهم، ولأعظم الأولياء الذين هم في رُتبتهم، ولم تتحقّق لشخصٍ آخر. وهذه من الفضائل المختصّة بالصدّيقة عليها السلام».

مصحف فاطمة عليها السلام دليل الإمامة

وكما هو حال كتاب الجفر فإنّ مصحف فاطمة هو كتاب سريّ كان الأئمّة عليهم السلام يستندون إليه في علومهم الخاصّة للدلالة على توارث العلم عن النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم بما يفيد في الدلالة على إمامتهم[١].

٣ - لوح فاطمة عليها السلام

ورد فيه أنّه لوح أخضر أهداه اللّه تعالى لرسوله صلى الله عليه وآله وسلم وتوارثه الأئمّة من بعده، وهو كتاب صغير الحجم واضح المضمون فيه النصّ على أسماء الأئمّة الاثني عشر بعض أوصافهم ومقاماتهم، وأدوارهم الأساسيّة.

(١) انظر: بركات، أكرم، حقيقة مصحف فاطمة عند الشيعة، ط٦، بيروت، بيت السراج، ٢٠١٢م، ص١٧٢-١٧٤.

وهذا ما نلاحظه في الرواية الآتية:

عن الإمام الصادق عليه السلام : قال أبي [يعني الإمام الباقر عليه السلام] لجابر بن عبد الله الأنصاري: إنّ لي إليك حاجة، فمتى يخفّ عليك أن أخلو بك، فأسألك عنها؟ فقال له جابر: أيّ الأوقات أحببته، فخلا به في بعض الأيام، فقال له: يا جابر، أخبرني عن اللوح الذي رأيته في يد أمّي فاطمة بنت رَسُول الله عليهما السلام ، وما أخبرتك به أمّي أنّه في ذلك اللوح مكتوب، فقال جابر: أشهد بالله أنّي دخلت على أمّك فاطمة عليها السلام في حياة رَسُول الله عليه السلام ، فهنَّيتها بولادة الحسين عليه السلام ، ورأيت في يديها لوحًا أخضر ظننت أنه من زمرُّد، ورأيت فيه كتابًا أبيض شبه لون الشمس، فقلت لها: بأبي وأمي يا بنت رَسُول الله عليه السلام ، ما هذا اللوح؟ فقالت: هذا لوح أهداه الله إلى رسوله عليه السلام ، فيه اسم أبي واسم بعلي، واسم ابنيَّ، واسم الأوصياء من ولدي، وأعطانيه أبي ليبشِّرني بذلك، قال جابر: فأعطتنيه أمّك فاطمة عليها السلام ، فقرأته واستنسخته، فقال له أبي [أي الإمام الباقر عليه السلام]:

فهل لك يا جابر أن تعرضه عليّ؟ قال: نعم، فمشى معه أبي إلى منزل جابر، فأخرج صحيفة من رقّ، فقال: يا جابر، أنظر في كتابك، لأقرأ أنا عليك، فنظر جابر في نسخته، فقرأه أبي، فما خالف حرفٌ حرفًا، فقال جابر: فأشهد باللّه أني هكذا رأيته في اللوح مكتوبًا:

بسم اللّه الرحمن الرحيم

هذا كتاب من اللّه العزيز الحكيم لمحمّد نبيّه ونوره وسفيره، وحجابه، ودليله، نزل به الروح الأمين من عند ربّ العالمين، عظّم يا محمّد أسمائي، واشكر نعمائي، ولا تجحد آلائي، إني أنا اللّه لا إله إلاّ أنا قاصم الجبّارين، ومديل المظلومين، وديَّان الدين، إنّي أنا اللّه لا إله إلاّ أنا، فمن رجا غير فضلي أو خاف غير عدلي، عذَّبته عذابًا لا أعذّبه أحدًا من العالمين، فإيّاي فاعبد، وعليَّ فتوكَّل، إنّي لم أبعث نبيًّا، فأكملت أيامه، وانقضت مدته، إلا جعلت له وصيًّا، وإنّي فضّلتك على الأنبياء، وفضّلت وصيّك على الأوصياء، وأكرمتك بشبليك وسبطيك حسن وحسين، فجعلت حسنًا معدن علمي بعد انقضاء مدّة أبيه،

وجعلت حسينًا خازن وحيي، وأكرمته بالشهادة، وختمت له بالسعادة، فهو أفضل من استشهد، وأرفع الشهداء درجة، جعلت كلمتي التامّة معه، وحجّتي البالغة عنده، بعترته أثيب وأعاقب، أوّلهم عليّ سيّد العابدين، وزين أوليائي الماضين، وابنه شبه جدّه المحمود محمّد الباقر علمي، والمعدن لحكمتي، سيهلك المرتابون في جعفر، الرادّ عليه كالرادّ عليّ، حقَّ القول مني، لأكرمنَّ مثوى جعفر، ولأسرّنَّه في أشياعه وأنصاره وأوليائه، (انتجبت بعده موسى، وانتحب بعده) فتنة عمياء حندس؛ لأنّ خيط فرضي لا ينقطع، وحجّتي لا تخفى، وأنّ أوليائي يسقون بالكأس الأوفى، من جحد واحدًا منهم فقد جحد نعمتي، ومن غيَّر آيةً من كتابي فقد افترى عليّ، ويل للمفترين الجاحدين عند انقضاء مدّة موسى عبدي وحبيبي وخيري في عليّ وليّي وناصري، ومن أضع عليه أعباء النبوة، وامتحنه بالاضطلاع بها، يقتله عفريت مستكبر، يدفن في المدينة التي بناها العبد الصالح إلى جنب شرّ خلقي، حقَّ القول مني، لأسرّنَّه بمحمد ابنه، وخليفته من بعده، ووارث علمه، فهو معدن علمي وموضع

سرّي وحجتي على خلقي، لا يؤمن عبد به إلا جعلت الجنة مثواه، وشفَّعته في سبعين من أهل بيته كلّهم استوجبوا النار، وأختم بالسعادة لابنه عليّ وليّي وناصري والشاهد في خلقي وأميني على وحيي، أخرج منه الداعي إلى سبيلي، والخازن لعلمي الحسن، وأكمل ذلك بابنه «م ح م د» رحمة للعالمين، عليه كمال موسى، وبهاء عيسى، وصبر أيوب، فيذلّ أوليائي في زمانه، وتتهادى رؤوسهم كما تتهادى رؤوس الترك والديلم، فيُقتلون ويُحرقون، ويكونون خائفين، مرعوبين، وجلين، تُصبغ الأرض بدمائهم، ويفشو الويل والرنّة في نسائهم، أولئك أوليائي حقًّا، بهم أدفع كلّ فتنة عمياء حندس، وبهم أكشف الزلازل، وأدفع الآصار والأغلال، أولئك عليهم صلوات من ربّهم ورحمة وأولئك هم المهتدون»[١].

قال عبد الرحمن بن سالم: قال أبو بصير: «**لو لم تسمع في دهرك إلا هذا الحديث لكفاك، فصنه إلّا عن أهله**»[٢].

---

(١) أنظر: بركات، أكرم، حقيقة مصحف فاطمة، ص ٥٧-٥٩.

(٢) المجلسيّ، محمّد باقر، بحار الأنوار، ج٣٦، ص ١٩٧.

ودلالـة هـذا اللوح واضحة في التنصيص على أسماء الأئمّة الاثني عشر عليهم السلام .

٤- مصحف الإمام عليّ عليه السلام

وهو عبارة عن تفسير وتأويل للقرآن الكريم بحسب نزوله المبارك مع بيان موارد النزول، وتمييز الناسخ من المنسوخ.

قال ابن جزي الكلبيّ: «وكان القرآن على عهد رسول الله متفرّقًا في الصحف وفي صدور الرجال، فلمّا توفّي رسول الله، قعد عليّ بن أبي طالب في بيته، فجمعه على ترتيب نزوله»[١].

قال الشيخ المفيد: «وقد جمع أمير المؤمنين القرآن المنزل من أوّله إلى آخره، وألَّفه بحسب ما وجب تأليفه، فقدَّم المكيّ على المدنيّ، والمنسوخ على الناسخ»[٢].

وفي الرواية أنّ عليًّا قال لطلحة: «يا طلحة! إنّ كلّ آية أنزلها الله على محمّد صلى الله عليه وآله وسلم عندي بإملاء رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وخطّي بيدي، وتأويل كلّ آية أنزلها الله على محمّد صلى الله عليه وآله وسلم...

(١) الغرناطيّ الكلبيّ، التسهيل لعلوم القرآن، تحقيق عبد الله الخالديّ، ط٤، بيروت، دار الكتاب العربي، (لا،ت)، ج١، ص ٤.

(٢) المفيد، محمّد، المسائل السروية، ط٢، بيروت، دار المفيد، ١٩٩٣، ص ٧٩.

مكتوب بإملاء رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وخطّي بيدي»[١].

مصير مصحف الإمام عليّ عليه السلام

ذكر الصدوق أنّ أمير المؤمنين عليه السلام لمّا جمع القرآن جاء به إلى القوم، وقال: «هذا كتاب ربّكم، كما أنزل على نبيّكم، فقالوا: لا حاجة لنا فيه، عندنا مثل الذي عندك»[٢].

وفي رواية أنّ عليًّا عليه السلام قال لهم: «أما والله ما ترونه بعد يومكم هذا أبدًا، كان عليَّ أن أخبركم حين جمعته لتقرأوه»[٣].

وقد توارث الأئمّة هذا الكتاب إمامًا تلو إمام إلى أن أصبح مع الإمام المهدي[٤] عجّل الله فرجه الشريف الذي ورد فيه: «...فإذا قام...أخرج المصحف الذي كتبه عليّ»[٥].

---

(١) المجلسيّ، محمّد باقر، بحار الأنوار، ج٨٩، ص ٤١.
(٢) الصدوق، محمّد، اعتقادات الصدوق، ط١، قم، المؤتمر العالمي للشيخ المفيد، (لا،ت)، ج٥، ص ٨٨٥.
(٣) الفيض الكاشاني، المولى محسن، تفسير الصافي، ط٢، قم، مؤسسة الهادي، ١٤١٦هـ، ج١، ص ٣٦.
(٤) أنظر: بركات، أكرم، مصحف فاطمة، ص ١٤٧- ١٤٨.
(٥) الفيض الكاشاني، المولى محسن، تفسير الصافي، ج١، ص ٣٨.

9

ما هي حقيقة البداء عند الأئمّة عليهم السلام؟

علم اللّه تعالى

نحن نعتقد أنّ اللّه كمال مطلق، فهو عالم لا جهل في ساحة قدسه، قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَخْفَىٰ عَلَيْهِ شَيْءٌ فِي ٱلْأَرْضِ وَلَا فِي ٱلسَّمَآءِ﴾[1]، ﴿وَعِندَهُۥ مَفَاتِحُ ٱلْغَيْبِ لَا يَعْلَمُهَآ إِلَّا هُوَ ۚ وَيَعْلَمُ مَا فِي ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ ۚ وَمَا تَسْقُطُ مِن وَرَقَةٍ إِلَّا يَعْلَمُهَا وَلَا حَبَّةٍ فِي ظُلُمَٰتِ ٱلْأَرْضِ وَلَا رَطْبٍ وَلَا يَابِسٍ إِلَّا فِي كِتَٰبٍ مُّبِينٍ﴾[2].

﴿إِن تُبْدُوا۟ شَيْـًٔا أَوْ تُخْفُوهُ فَإِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمًا﴾[3].

وعن الإمام عليّ عليه السلام: «**لا يعزب عنه عدد قطر الماء**،

---

(١) سورة آل عمران، الآية ٥.

(٢) سورة الأنعام، الآية ٥٩..

(٣) سورة الأحزاب، الآية ٥٤.

ولا نجوم السماء، ولا سوافي الريح في الهواء، ولا دبيب النمل على الصفا، ولا مقيل الذرّ في الليلة الظلماء. يعلم مساقط الأوراق، وخفيَّ طرف الأحداق»[١].

وعن الإمام الباقر عليه السلام: **«إن اللّه نور لا ظلمة فيه، وعلم لا جهل فيه، وحياة لا موت فيه»**[٢].

وعن الإمام الكاظم عليه السلام: **«ولم يزل اللّه عالماً بالأشياء قبل أن يخلق الأشياء، كعلمه بالأشياء بعدما خلق الأشياء»**[٣].

روايات البداء وتهمة الشيعة

مع كلّ الوضوح فيما ورد في القرآن، وعن النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم، وأهل البيت عليهم السلام اتُّهم الشيعة باعتقادهم أنَّ اللّه يغيِّر رأيه، فينتقل من جهل إلى علم.

وسبب هذا الاتهام هو عدم الفهم لروايات عديدة عن

(١) ابن أبي طالب، الإمام علي، نهج البلاغة، تحقيق محمّد عبده، ط١، قم، دار الذخائر، ١٤١٢هـ، ج٢، ص ٩٨.

(٢) الصدوق، محمّد، التوحيد، (لا،ط)، قم، منشورات جماعة المدرسين، (لا،ت)، ص ١٣٨.

(٣) المصدر السابق، ص ١٤٥.

أهل البيت عليهم السلام تحت عنوان «**البداء**» مثل:

ما ورد عن الإمام الباقر أو الصادق عليهما السلام: «**ما عُبد الله بمثل البداء**»(١).

وما ورد عن الإمام الصادق عليه السلام:

- «**ما عُظِّم الله عزّ وجلّ بمثل البداء**»(٢).
- «**ما تنبّأ نبيّ قطّ حتّى يقرّ لله بخمس: بالبداء والمشيئة...**»(٣).
- «**ما بعث الله نبيّاً قطّ إلّا بتحريم الخمر، وأن يقرّ له بالبداء**»(٤).
- «**لو علم الناس ما في القول بالبداء من الأجر، ما فتروا عن الكلام فيه**»(٥).

من القطعيّ المحسوم في مذهب أهل البيت عليهم السلام أنّه لا يُراد من البداء أنّ الله تعالى يبدو ويظهر له شيء

---

(١) المجلسي، محمّد باقر، بحار الأنوار، ج٤، ص ١٣٢.
(٢) الصدوق، محمّد، التوحيد، ص ٣٣٣.
(٣) المصدر السابق ص ٣٣٣.
(٤) المصدر السابق، ص ٣٣٤.
(٥) الكليني، محمّد، الكافي، ج١، ص ١٤٨.

بعد جهل، فعن الإمام الصادق عليه السلام: **«من زعم أن الله تعالى بدا له في شيء بداء ندامة، فهو عندنا كافر بالله العظيم»**[1].

لكن ماذا يُراد من البداء الذي له هذه المنزلة العظيمة؟

إنَّ الجواب مرتبط بعقيدتنا بالقضاء والقدر، فنحن نؤمن أنَّ الله تعالى قدَّر الأمور وهندسها من بدايتها إلى نهايتها، وتشمل هذه الأمور كلّ الخلق حتّى أعمال الناس، فالله قدَّر كلّ شيء، فقد قدَّر الله عزَّ وجلّ أن تسير الأرض حول الشمس، والقمر حول الأرض، وأن يتعاقب الليل والنهار، كما قدّر تعالى أن يعيش آدم عليه السلام ما عاش، وأن أعيش أنا، وأن تعيش أنت من سنة كذا، من شهر كذا، من يوم كذا ،في الساعة كذا، إلى سنة، وشهر، ويوم، وساعة، وثانية كذا.

(١) المازاندارني، محمّد، شرح أصول الكافي، ج٦ ص ٨٩.

لكن مع هذا الإيمان يأتي سؤال مهمّ هو:

هل هذا القدر حاكم على إرادة الله تعالى ؟

١- جواب المجبِّرة:

نعم؛ استنادًا إلى بعض الروايات، منها ما رواه البخاريّ عن أبي هريرة، عن النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم: «جفّ القلم بما أنت لاق»[(١)].

ويشرح النوويّ هذا الحديث: «ويقول الملك الموكّل بالنطفة: «يا ربّ أشقيٌّ أو سعيد، فيكتبان... ويكتب عمله وأثره، وأجله ورزقه، ثم تُطوى الصحف، فلا يُزاد فيها ولا يُنقص»[(٢)].

وفي صحيح البخاريّ: «احتج آدم عليه السلام وموسى عليه السلام فقال له موسى عليه السلام: يا آدم، أنت أبونا خيّبتنا، وأخرجتنا من الجنّة، قال له آدم عليه السلام: يا موسى، اصطفاك الله بكلامه، وخطّ لك بيده، أتلومني على أمرٍ قدّره الله عليَّ

---

(١) السبحاني، جعفر، الإلهيّات، ط٣، بيروت، الدار الإسلامية، ١٤٠٩هـ، ص ٥٤٩.
(٢) النووي، شرح مسلم، (لا،ط)، بيروت، دار الكتاب العربي، ١٤٠٧هـ، ج١٦، ص ١٩٣.

قبل أن يخلقني بأربعين سنة؟»[١].

- وعن عمران بن حصين: قال رجل: «يا رسول الله، أيعرف أهل الجنّة من أهل النار؟ قال: «نعم». قال: فلِمَ يعمل العاملون؟»[٢]

قال صلى الله عليه وآله وسلم: **«كلٌّ يعمل لما خُلق له أو لما تيسّر له»**.

هذا السؤال الجريء من هذا الرجل هو إشكال أساسيّ في هذه القضيّة؛ لأن الإيمان بالجبر يوجب اليأس من تغيير الفرد والمجتمع.

من هنا كان الأمويّون ينشرون هذه العقيدة، ليسوِّغوا حكمهم وظلمهم، وحينما كان الناس يرجعون إلى معاوية أو أعوانه في الضيق الاقتصادي، كانوا يتلون قوله تعالى: ﴿وَإِن مِّن شَيْءٍ إِلَّا عِندَنَا خَزَائِنُهُ وَمَا نُنَزِّلُهُ إِلَّا بِقَدَرٍ مَّعْلُومٍ﴾[٣].

ومن لطيف ما ورد في الردّ على هذا المنطق هو ما قام

---

(١) الحسني، هاشم معروف، دراسات في المحدثين والحديث، ط٢، بيروت، دار التعارف، ١٣٩٨هـ، ص ٢٢٨.

(٢) السبحاني، جعفر، الإلهيات، ص ٥٤٩.

(٣) سورة الحجر، الآية ٢١.

به أحنف ابن قيس حينما أجاب هؤلاء بقوله: «إنّ اللّه قسّم رزقه بين عباده بالعدل، ولكن حُلتم بينهم وبين أرزاقهم».

نرجع إلى السؤال: هل القدر حاكم على إرادة اللّه تعالى؟

٢- جواب الشيعة:

لا؛ استنادًا إلى العديد من الآيات القرآنية والروايات الشريفة، فمن الآيات قوله تعالى:

أ- ﴿يَمْحُوا اللَّهُ مَا يَشَاءُ وَيُثْبِتُ وَعِندَهُ أُمُّ الْكِتَابِ﴾[١].

ب- ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُوا مَا بِأَنفُسِهِمْ﴾[٢].

ج- ﴿فَقُلْتُ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ إِنَّهُ كَانَ غَفَّارًا ۝١٠ يُرْسِلِ السَّمَاءَ عَلَيْكُم مِّدْرَارًا ۝١١ وَيُمْدِدْكُم بِأَمْوَالٍ وَبَنِينَ وَيَجْعَل لَّكُمْ جَنَّاتٍ وَيَجْعَل لَّكُمْ أَنْهَارًا﴾[٣]

د- ﴿وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْقُرَىٰ آمَنُوا وَاتَّقَوْا لَفَتَحْنَا عَلَيْهِم بَرَكَاتٍ مِّنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ وَلَٰكِن كَذَّبُوا فَأَخَذْنَاهُم بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾[٤].

---

(١) سورة الرعد، الآية ٣٩.
(٢) سورة الرعد، الآية ١١.
(٣) سورة نوح، الآيات ١٠-١٢.
(٤) سورة الأعراف، الآية ٩٦.

هـ- ﴿وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجۡعَل لَّهُۥ مَخۡرَجٗا ۝٢ وَيَرۡزُقۡهُ مِنۡ حَيۡثُ لَا يَحۡتَسِبُۚ﴾[١].

و- ﴿فَلَوۡلَآ أَنَّهُۥ كَانَ مِنَ ٱلۡمُسَبِّحِينَ ۝١٤٣ لَلَبِثَ فِي بَطۡنِهِۦٓ إِلَىٰ يَوۡمِ يُبۡعَثُونَ﴾[٢].

ومن الروايات الدالة على ذلك والواردة من طرق الشيعة:

أ- عن الرسول الأكرم صلى الله عليه وآله وسلم: «**الصدقة باليد تدفع ميتة السوء، وتدفع سبعين نوعًا من أنواع البلاء**»[٣].

ب- عن أمير المؤمنين عليه السلام: «أكثروا الاستغفار، تجلبوا الرزق»[٤].

ج- عن الإمام الصادق عليه السلام: «**إن الدعاء يردّ القضاء، وإن المؤمن ليذنب فيحرم بذنبه الرزق**»[٥].

د- عن الإمام الباقر عليه السلام: «صلة الأرحام تزكّي الأعمال،

---

(١) سورة الطلاق، الآيتان ٢،٣..

(٢) سورة الصافات، الآيتان ١٤٣-١٤٤.

(٣) الكليني، محمّد، الكافي، ج٤، ص ٣.

(٤) المجلسي، محمّد باقر، بحار الأنوار، ج٩٠، ص ٢٧٨.

(٥) المصدر السابق، ص ٢٨٨.

وتنمّي الأموال، وتدفع البلوى وتيسِّر الحساب، وتنسئ في الأجل»[١].

ومن الروايات الدالّة على ذلك والواردة من طرق أهل السُنَّة:

١- أخرج الحاكم عن ابن عباس: «**لا ينفع الحذر من القدر، ولكنّ الله يمحو بالدعاء ما يشاء من القدر**»[٢].

٢- عن أبي هريرة عن النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم: «**لا يردّ القضاء إلاّ الدعاء، ولا يزيد في العمر إلا البِرّ**»[٣].

الخلاصة

خلاصة ما يُفهم من الآيات والنصوص الشريفة أنَّ الله تعالى هندس مصير الإنسان بهندسة لم يغلق باب التغيير بها، بل أبقى للإنسان هامشاً أن يفعل ما يستنزل من خلاله تبديلاً في المصير، ففي الهندسة المبدئية قد يكون عمره ٤٠ سنة، ولكنّه إن تصدَّق قد يطيل الله تعالى

---

(١) الكليني، محمّد، الكافي، ج٢، ص ١٥٠.
(٢) الشوكاني، محمّد، فتح القدير، (لا،ط)، (لا،م)، عالم الكتب، (لا،ت)، ج٣، ص ٨٩.
(٣) المتقي الهندي، علاء الدين، كنز العمال، ج٢، ص ٦٧.

في عمره ١٠ سنين إضافية، وهكذا يبقى عند الإنسان أملٌ بتغيير مستقبله ومصيره بقدرة اللّه تعالى وإرادته. وهذا ما عبَّر عنه أمير المؤمنين عليّ بن أبي طالب عليه السلام حينما قام من جانب حائط يكاد أن يسقط، فسأله البعض: أتفرُّ من قضاء اللّه؟ فأجاب عليه السلام: «أفرُّ من قضاء الله إلى قدره»[1].

وهذا ما يعبَّر عنه بالاصطلاح العقائديّ بالقضاء المخروم، مقابل القضاء المحتوم الذي لا يُمكن للإنسان أن يفعل ما يستوجب تغييره.

إنَّ الإيمان بهذا الهامش التغييريّ من قِبَل الإنسان بإرادته تعالى هو الذي يُسمّى بعقيدة البداء.

ومن الواضح أنَّ من لا يؤمن بهذا الهامش، من إمكانية تغيير الإنسان نفسه، والمجتمع يعيش حالة يأس من تبديل حاله، وتطوير نفسه، وترقية المجتمع، قد تدفعه إلى الخمول، بل إلى المسير في سبيل الشرّ طالما أنّ كلّ ذلك مقدَّر من

(١) المجلسي، محمد باقر، بحار الأنوار، ج ٥٦، ص ٣.

اللّه تعالى تقديراً قد جفَّ القلم عنه. من هنا ورد « **ما عُظِّمَ اللّه عزَّ وجلَّ بمثل البداء**»[1].

قصّة لطيفة في البداء

عن أبي جعفر عليه السلام قال: بينا داود على نبينا وآله وعليه السلام جالس، وعنده شابّ رثّ الهيئة يكثر الجلوس عنده، ويطيل الصمت، إذ أتاه ملك الموت، فسلّم عليه وأَحَدّ ملك الموت النظر إلى الشابّ، فقال داود عليه السلام : نظرتَ إلى هذا ؟ فقال: نعم، إني أُمرت بقبض روحه إلى سبعة أيام في هذا الموضع، فرحمه داود عليه السلام ، فقال: يا شابّ هل لك امرأة ؟ قال: لا ، وما تزوجت قطّ. قال داود عليه السلام : فأتِ فلانًا (رجلاً كان عظيم القدر في بني إسرائيل) ، فقل له: إن داود عليه السلام يأمرك أن تزوّجني ابنتك، وتدخلها الليلة، وخذ من النفقة ما تحتاج إليه، وكن عندها ، فإذا مضت سبعة أيام، فوافني في هذا الموضع، فمضى الشابّ برسالة داود عليه السلام ، فزوّجه الرجل ابنته، وأدخلوها عليه، وأقام عندها سبعة أيام ، ثمّ

(١) المجلسي، محمّد باقر، بحار الأنوار، ج ٤، ص ١٠٧.

وافى داود عليه السلام يوم الثامن، فقال له داود عليه السلام: يا شابّ، كيف رأيت ما كنت فيه؟ قال: ما كنت في نعمة ولا سرور قطّ أعظم ممّا كنت فيه، قال داود عليه السلام: اجلس، فجلس وداود ينتظر أن يُقبض روحه، فلمّا طال قال: انصرف إلى منزلك، فكن مع أهلك، فإذا كان يوم الثامن فوافني ههنا، فمضى الشاب، ثمّ وافاه يوم الثامن، وجلس عنده، ثمّ انصرف أسبوعًا آخر، ثمّ أتاه وجلس، فجاء ملك الموت داود عليه السلام، فقال داود عليه السلام: ألستَ حدّثتني بأنّك أُمرت بقبض روح هذا الشابّ إلى سبعة أيام؟ قال: بلى، فقال عليه السلام: قد مضت ثمانية وثمانية وثمانية! قال: يا داود، إن اللّه تعالى رحمه برحمتك له فأخّر في أجله ثلاثين سنة»[1].

استفادات ممّا سبق

١-إنَّ عقيدة البداء بالمعنى المتقدِّم صرَّحت بها روايات أهل السُّنَّة كما روايات الشيعة، إلا أنّ الاعتراض الوارد من بعض أهل السُّنَّة على الشيعة هو على ما فهموه من

(١) المصدر السابق، ص ١١٢.

معنى البداء، وليس على ما يعتقده الشيعة.

٢- إنَّ مصطلح البداء عند الشيعة لا يُراد منه أنَّ اللّه تعالى يبدو له شيء كان خافيًا عنه، فإنَّ هذا مخالف لعقيدتهم في علم اللّه تعالى المطلق، بل المُراد منه المعنى المتقدِّم.

ج- أمَّا لماذا اختير هذا المصطلح دون غيره فهو نظير اختيار القرآن الكريم لمصطلح المكر والكيد وإطلاقهما على اللّه تعالى في قوله عزَّ وجلّ: ﴿وَٱللَّهُ خَيْرُ ٱلْمَٰكِرِينَ﴾[1].

وقوله عزَّ وجلّ: ﴿يَكِيدُونَ كَيْدًا ۝١٥ وَأَكِيدُ كَيْدًا﴾[2].

ومن الواضح أنه ليس المُراد من المكر والكيد المعنيّين السلبيَّين المنسبقين إلى أذهان الناس؛ لأن أمثال هذه صفات حينما تُطلق على اللّه تعالى لا بُدَّ من تعشيبها من الجوانب السلبية، وإطلاقها بالمضمون الكماليّ الذي تحمله، وهكذا هو حال مصطلح البداء.

(١) سورة آل عمران، الآية ٥٤. سورة الأنفال، الآية ٣٠.
(٢) سورة الطارق، الآيتان ١٥-١٦.



ما معنى رجعة الأئمّة عليهم السلام، وما دليلها؟

رجعة الأئمّة عليهم السلام

وردت عدّة نصوص تتحدّث عن رجعة الأئمّة عليهم السلام وعودتهم وإيابهم، منها:

١- عن الإمام الصادق عليه السلام: «**ليس منّا مَنْ لم...يؤمن برجعتنا**»[١].

وعنه عليه السلام: «**أوّل من تنشقّ الأرض عنه، ويرجع إلى الدنيا الحسين بن علي...**»[٢].

---

(١) المفيد، محمّد، المسائل السروية، تحقيق صائب عبد الحميد، ط٢، بيروت، دار المفيد، ١٤١٤هـ، ص٣٠.

(٢) المجلسيّ، محمّد باقر، بحار الأنوار، ج ٥٣، ص ٣٩.

وعنه عليه السلام: «... وليحضرن السيّد الأكبر محمّد رسول الله، والصدّيق الأكبر أمير المؤمنين، وفاطمة والحسن والحسين والأئمّة...»[١].

وعنه عليه السلام في تعليم زيارة الإمام الحسين عليه السلام بما يقوله الزائر: «...وأشهد أنّي بكم مؤمن وبإيابكم موقن»[٢].

وفي زيارة آل يس عن الناحية المقدّسة: «...وأنّ رجعتكم حقّ لا ريب فيها»[٣].

رجعة المؤمنين والكافرين

لم تحصر الروايات الرجعة بالأئمّة عليهم السلام، بل عمّمتها لكلٍّ من محّض الإيمان ومحّض الكفر، وفي بعضها محّض الشرك، فعن الإمام الصادق عليه السلام في قوله تعالى: ﴿وَيَوْمَ نَحْشُرُ مِن كُلِّ أُمَّةٍ فَوْجًا﴾[٤]، قال عليه السلام: «ليس أحد من المؤمنين قُتل إلاّ يرجع حتّى يموت، ولا يرجع إلاّ من

---

(١) المصدر السابق، ص ١٤.
(٢) الفيض الكاشاني، المولى محسن، الوافي، ج١٤، ص ١٥٨٢.
(٣) المجلسيّ، محمّد باقر، بحار الأنوار، ج٥٣، ص ١٧١.
(٤) سورة النمل، الآية ٨٣.

محّض الإيمان محضًا، أو محّض الكفر محضًا»[١]، وعنه عليه السلام: «إنّ الرجعة ليست بعامّة، وهي خاصّة، لا يرجع إلاّ من محّض الإيمان محضًا أو محّض الشرك محضًا»[٢].

قال الشيخ المفيد في تصحيح الاعتقاد: «رُوي عن الصادق عليه السلام أنّه قال في الرجعة: إنّما يرجع إلى الدنيا عند قيام القائم من محّض الإيمان محضًا أو محّض الكفر محضًا، فأمّا ما سوى هذين، فلا رجوع لهم إلى يوم المآب»[٣].

كثرة أحاديث الرجعة

ذكر العلّامة المجلسيّ في البحار أنّ أحاديث الرجعة تقارب «مئتي حديث صحيح، رواها نيّف وأربعون من الثقات العظام، والعلماء الأعلام»[٤].

(١) المجلسي، محمّد باقر، بحار الأنوار، ج ٥٣، ص ٥٣.
(٢) المصدر السابق، ص ٣٩.
(٣) المفيد، محمّد، تصحيح اعتقادات الإمامية، تحقيق حسين دركاهي، ط٢، بيروت، دار المفيد، ١٤١٤هـ، ص ٩٠.
(٤) المجلسيّ، محمّد باقر، بحار الأنوار، ج٥٣، ص ١٢٢.

رتبة الاعتقاد بالرجعة

رغم كثرة الأحاديث الواردة في الرجعة، إلاّ أنّها لم تصل إلى حدّ كونها ضرورة مذهبيّة يستوجب إنكارها الخروج من المذهب، فضلاً عن كونها أصلاً في المذهب.

قال الشيخ محمّد الحسين آل كاشف الغطاء: «**ليس التديّن بالرجعة من مذهب التشيّع بلازم، ولا إنكاره بضارّ...**»[١].

رأيان للشيعة في الرجعة

أمام الأحاديث السابقة، برز عند الشيعة رأيان في تفسير الرجعة:

الرأي الأوّل: هي رجعة الأجسام

ولبيان صحّة رأيهم خطَوا الخطوات الآتية:

الأولى: إمكان الرجعة

من الواضح أنّه قبيل الدخول في وقوع أيّ شيء، لا بدّ من

(١) كاشف الغطاء، محمّد، أصل الشيعة وأصولها، تحقيق علاء آل جعفر، ط١، (لا،م)، مؤسسة الإمام علي، ١٤١٥هـ، ص ١٦٧.

إحراز كونه ممكنًا، فلو كان مستحيلاً لدى العقل، لما وصل الدور إلى البحث عن وقوعه، ومن الواضح أنّ حال الرجعة هي كحال بعث الأحياء يوم القيامة في كون كلٍّ منهما ممكنًا من الناحية العقليّة.

الثاني: وقوع الرجعة في الماضي

قال الشيخ الصدوق قدس سره: «**اعتقادنا في الرجعة أنّها حقّ، وقد قال تعالى:** ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ خَرَجُوا مِن دِيَارِهِمْ وَهُمْ أُلُوفٌ حَذَرَ الْمَوْتِ فَقَالَ لَهُمُ اللَّهُ مُوتُوا ثُمَّ أَحْيَاهُمْ﴾[1]، **كان هؤلاء سبعين ألف بيت، وكان يقع فيهم الطاعون كلّ سنة، فيخرج الأغنياء لقوتهم، ويبقى الفقراء لضعفهم . فيقلّ الطاعون في الذين يخرجون، ويكثر في الذين يقيمون، فيقول الذين يقيمون: لو خرجنا لما أصابنا الطاعون، ويقول الذين خرجوا: لو أقمنا لأصابنا كما أصابهم. فأجمعوا على أن يخرجوا جميعًا من ديارهم إذا كان وقت الطاعون، فخرجوا بأجمعهم، فنزلوا على شطّ بحر، فلمّا وضعوا رحالهم، ناداهم الله: موتوا، فماتوا جميعًا،**

(١) سورة البقرة، الآية ٢٤٣.

فكنستهم المارّة عن الطريق، فبقوا بذلك ما شاء اللّه. ثمّ مرّ بهمّ نبي من أنبياء بني إسرائيل يقال له إرميا، فقال: (لو شئت يا ربّ، لأحييتهم، فيعمروا بلادك، ويلدوا عبادك، وعبدوك مع من يعبدك). فأوحى الله تعالى إليه: أفتحبّ أن أحييهم لك؟ قال: نعم. فأحياهم اللّه، وبعثهم معه. فهؤلاء ماتوا ورجعوا إلى الدنيا، ثمّ ماتوا بآجالهم»[١].

الثالث: وقوع الرجعة في المستقبل

استدلّوا على وقوع الرجعة بآيات قرآنيّة وأحاديث شريفة نعرض منها:

الآيات القرآنيّة

١- قوله تعالى: ﴿وَيَوْمَ نَحْشُرُ مِن كُلِّ أُمَّةٍ فَوْجًا مِّمَّن يُكَذِّبُ بِآيَاتِنَا﴾[٢]، فالكلام في هذه الآية عن حشر خاصّ، بينما في يوم القيامة يكون الحشر عامًّا، بدليل قوله تعالى: ﴿وَحَشَرْنَاهُمْ فَلَمْ نُغَادِرْ مِنْهُمْ أَحَدًا﴾[٣].

---

(١) الصدوق، محمّد، الاعتقادات في دين الإماميّة، ص ٦٠-٦١.
(٢) سورة النمل، الآية ٨٣.
(٣) سورة الكهف، الآية ٤٧.

ورد عن أبي بصير: «قال لي أبو جعفر [أي الإمام الباقر عليه السلام] ينكر أهل العراق الرجعة؟ قلت: نعم، قال: أما يقرؤون القرآن: ﴿وَيَوْمَ نَحْشُرُ مِن كُلِّ أُمَّةٍ فَوْجًا مِّمَّن يُكَذِّبُ بِآيَاتِنَا﴾[1]»[2].

٢- قوله تعالى: ﴿قَالُوا رَبَّنَا أَمَتَّنَا اثْنَتَيْنِ وَأَحْيَيْتَنَا اثْنَتَيْنِ فَاعْتَرَفْنَا بِذُنُوبِنَا فَهَلْ إِلَى خُرُوجٍ مِّن سَبِيلٍ﴾[3]، باعتبار أنّ الإماتتين هما إماتة هذه الحياة الدنيا، والإماتة في الرجعة، والإحياء هما إحياء الرجعة وإحياء القيامة.

والملاحظ أنّ تفسير هذه الآية ينحصر بالرجعة؛ إذ يمكن تفسيرها بمعنى آخر مناسب وذلك بالقول: إنّ المراد من الإماتتين هما الإماتة في هذه الحياة الدنيا، والإماتة بعد نفخ الصور الأوّل حيث يموت أهل البرزخ، وأنّ المراد من الإحياءَيْن هما الإحياء في عالم البرزخ حيث يجعل اللّه تعالى من محّض الإيمان ومن محّض الكفر بعد موته في

(١) سورة النمل، الآية ٨٣.

(٢) المجلسيّ، محمّد باقر، بحار الأنوار، ج٥٣، ص ٤٠.

(٣) سورة غافر، الآية ١١.

جسم مثاليّ، أمّا الإحياء الثاني، فهو إحياء يوم القيامة.

الرأي الثاني: هي رجعة الحكم

أَوَّلَ جماعة من الشيعة أحاديث الرجعة بكون المراد منها رجوع الحكم في زمن الإمام المهدي عجل الله فرجه الشريف، وقد اعتبر السيّد المرتضى أنّ تأويل هؤلاء كان بسبب عجزهم عن الدفاع عن قضيّة الرجعة، قال: «**...فأمّا من تأوَّل الرجعة من أصحابنا على أنّ معناها رجوع الدولة والأمر والنهي، بدون رجوع الأشخاص، وإحياء الأموات، فإنّ قومًا من الشيعة لمّا عجزوا عن نصرة الرجعة، وبيان جوازها، وأنّها تنافي التكليف عوَّلوا على هذا التأويل للأخبار الواردة في الرجعة**»، وقال الشيخ الطبرسيّ: «**...على أنّ جماعة من الإماميّة تأوّلوا ما ورد في الأخبار في الرجعة على رجوع الدولة والأمر والنهي دون رجوع الأشخاص لما ظنّوا أنّ الرجعة تنافي التكليف**».

وهذا ما يفتح المجال لمناقشة ما استشكل به على القول برجعة الأجسام.

إشكالات حول رجعة الأجسام

الإشكال الأوّل: إنّ القول برجعة الأجسام يتنافى مع التكليف الإلهيّ للإنسان؛ إذ كيف يكلَّف الإنسان بعد أن عرف الحقيقة؟

والجواب:

I- ليس من المعلوم أنّ في الرجعة تكليفًا لجميع الراجعين، إنّما الرجعة لإذلال بعض، وإعزاز آخرين بإراءتهم الإمام عجّل الله فرجه الشريف ودولته.

II- إنّ حال الراجعين كحال الذين أحياهم النبيّ عيسى عليه السلام بعد موتهم، وعاشوا مع الناس، فإنّه من الطبيعيّ أنّهم عاشوا كغيرهم من المكلّفين، إضافةً إلى أنّ مشاهدة الحقيقة ومعرفة الحقّ لو كانت مانعة من التكليف، فكيف نفسِّر حال أولئك الذين رأوا بأمّ أعينهم المعجزات الباهرة كفلق البحر لموسى عليه السلام، وتحوُّل عصاه إلى حيّة!!

الإشكال الثاني: كيف يعود الكفّار بعد الموت إلى

طغيانهم، وقد عاينوا عذاب اللّه تعالى في البرزخ، وتيقّنوا بذلك أنّهم على باطل؟

الجواب: ليس من المعلوم أنّهم سيعودون إلى طغيانهم، بل قد تكون العودة للمحاكمة فقط، ولرؤية الإمام عجّل الله فرجه الشريف ودولته التي طالما كانوا عقبة أمام تحقيقها، ممّا يزيد عذابهم النفسيّ.

وللشيخ المفيد إجابة أخرى طرحها على فرض أن يرجعوا إلى طغيانهم، فقال: «ليس ذلك بأعجب من الكفّار الذين يشاهدون في البرزخ ما يحلّ بهم من العذاب، ويعلمونه ضرورة بعد المدافعة لهم والاحتجاج عليهم بضلالهم في الدنيا، فيقولون حينئذٍ: ﴿يَٰلَيۡتَنَا نُرَدُّ وَلَا نُكَذِّبَ بِـَٔايَٰتِ رَبِّنَا وَنَكُونَ مِنَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ﴾[1]، فقال الله عزّ وجلّ: ﴿بَلۡ بَدَا لَهُم مَّا كَانُواْ يُخۡفُونَ مِن قَبۡلُۖ وَلَوۡ رُدُّواْ لَعَادُواْ لِمَا نُهُواْ عَنۡهُ وَإِنَّهُمۡ لَكَٰذِبُونَ﴾[2]»[3].

٣- أليست الرجعة هي من أنواع التناسخ والتقمُّص؟

(١) سورة الأنعام، الآية ٢٧.
(٢) سورة الأنعام، الآية ٢٨.
(٣) المفيد، محمّد، المسائل السروية، ص ٣٦.

الجواب: هذا غير صحيح؛ لأنّ التناسخ (التقمُّص) يعني حلول أرواح الأموات في أجساد أخرى يراد لها الحياة، بينما الرجعة تعني عودة أرواح بعض الناس إلى أجسامهم كما هو الحال يوم القيامة.

قال السيّد المرتضى: «**اعلم أنّ الذي تذهب الشيعة الإماميّة إليه أنّ الله تعالى يعيد، عند ظهور إمام الزمان المهديّ عليه السلام، قومًا ممّن كان قد تقدّم موته من شيعته؛ ليفوزوا بثواب نصرته ومعونته ومشاهدة دولته. ويعيد أيضًا قومًا من أعدائه؛ لينتقم منهم، فيلتذوا بما يشاهدون من ظهور الحقّ وعلوّ كلمة أهله**»[1].

وقال الشيخ المفيد في أوائل المقالات: «**القول في الرجعة...إنّ الله تعالى يردّ قومًا من الأموات إلى الدنيا في صورهم التي كانوا عليها، فيعزّ منهم فريقًا، ويذلّ فريقًا، ويدلّ المحقّين من المبطلين، والمظلومين منهم**

---

(١) الشريف المرتضى، رسائل الشريف المرتضى، (لا،ط)، قم، دار القرآن، ١٤٠٥هـ، ج١، ١٢٥.

من الظالمين، وذلك عند قيام مهديّ آل محمّد عليه السلام»[1].

ويمكن تعميق فلسفة الرجعة من خلال استحضار هدف خلق اللّه تعالى للإنسان وهو أن يسير في طريق كماله، وكون هذا الكمال يتصوّر في مسارين:

الأوّل: مسار الفرد الذي يحقّق كماله من خلال تزكية نفسه، والسير في طريق العبادة.

الثاني: مسار المجتمع، فكما أنّ الفرد يسير باتجاه كماله، فإنّ قافلة الإنسانيّة تسير باتجاه كمالها الاجتماعيّ.

وإذا تأمّلنا المسار العامّ لقافلة البشريّة في التاريخ من خلال المحطّات الأساسيّة التي برزت مع الرسل من أولي العزم، فإنّنا نلاحظ الآتي:

I- واجه نبيّ اللّه نوح عليه السلام مجتمعًا بشريًّا لا يؤمن بالتواصل بين اللّه والإنسان عبر الرسل، قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِۦ فَقَالَ يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥٓ ۚ أَفَلَا تَتَّقُونَ ﴿٢٣﴾ فَقَالَ ٱلْمَلَؤُا۟ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِن قَوْمِهِۦ مَا هَٰذَآ إِلَّا

---

(١) المفيد، محمّد، أوائل المقالات، تحقيق إبراهيم الأنصاري، ط٢، بيروت، دار المفيد، ١٤١٤هـ، ص ٧٨.

بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُرِيدُ أَن يَتَفَضَّلَ عَلَيْكُمْ وَلَوْ شَاءَ ٱللَّهُ لَأَنزَلَ مَلَٰٓئِكَةً مَّا سَمِعْنَا بِهَٰذَا فِيٓ ءَابَآئِنَا ٱلْأَوَّلِينَ ﴾[1].

وقد استطاع نوح عليه السلام أن يبني المجتمع المؤمن بذلك التواصل في من بقي معه في السفينة.

II- بعدها أتى نبيّ اللّه إبراهيم عليه السلام ليواجه مجتمعًا يشرك باللّه تعالى، قال عزّ وجلّ حكاية عن إبراهيم: ﴿إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِۦ مَا هَٰذِهِ ٱلتَّمَاثِيلُ ٱلَّتِيٓ أَنتُمْ لَهَا عَٰكِفُونَ ﴿٥٢﴾ قَالُواْ وَجَدْنَآ ءَابَآءَنَا لَهَا عَٰبِدِينَ ﴿٥٣﴾ قَالَ لَقَدْ كُنتُمْ أَنتُمْ وَءَابَآؤُكُمْ فِي ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٥٤﴾ قَالُوٓاْ أَجِئْتَنَا بِٱلْحَقِّ أَمْ أَنتَ مِنَ ٱللَّٰعِبِينَ ﴿٥٥﴾ قَالَ بَل رَّبُّكُمْ رَبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ٱلَّذِي فَطَرَهُنَّ وَأَنَا۠ عَلَىٰ ذَٰلِكُم مِّنَ ٱلشَّٰهِدِينَ ﴾[2].

وقد استطاع إبراهيم عليه السلام أن يبني المجتمع التوحيديّ.

III- بعدها أتى نبيّ اللّه موسى عليه السلام ليؤسّس مجتمع التشريع، بنقل التشريع من الإنسان الفرد إلى المجتمع ليتحوّل إلى مجتمع تشريعيّ. قال تعالى:

---

(١) سورة المؤمنون، الآيتان ٢٣- ٢٤.

(٢) سورة الأنبياء، الآيات ٥٢- ٥٦.

﴿ وَءَاتَيْنَا مُوسَى ٱلْكِتَٰبَ وَجَعَلْنَٰهُ هُدًى لِّبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ﴾[١]، وقال عزّ وجلّ: ﴿ وَكَتَبْنَا لَهُۥ فِى ٱلْأَلْوَاحِ مِن كُلِّ شَىْءٍ مَّوْعِظَةً وَتَفْصِيلًا لِّكُلِّ شَىْءٍ ﴾[٢].

IV- كان مقتضى هذا التطوّر أن ينتقل المجتمع البشريّ إلى مجتمع الحكومة الإلهيّة التي تطبّق أحكام اللّه تعالى على الأرض، وكان من المتوقّع أن يكون النبيّ عيسى عليه السلام صاحب هذا الدور، إلاّ أنّ العقبات التي واجهها، لا سيّما من اليهود، اقتضت أن يرفعه اللّه تعالى إليه، ليكون له هذا الدور مع الإمام المهديّ عجّل الله فرجه الشريف، الذي سيحقّق الدولة الإلهيّة المحمّديّة العالميّة الكبرى التي بشّر القرآن الكريم بها قائلاً عزّ وجلّ: ﴿ هُوَ ٱلَّذِىٓ أَرْسَلَ رَسُولَهُۥ بِٱلْهُدَىٰ وَدِينِ ٱلْحَقِّ لِيُظْهِرَهُۥ عَلَى ٱلدِّينِ كُلِّهِۦ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْمُشْرِكُونَ ﴾[٣].

لذا كان النبيّ محمّد صلى الله عليه وآله وسلم يتحدّث عن حتميّة وجود هذا

(١) سورة الإسراء، الآية ٢.
(٢) سورة الأعراف، الآية ١٤٥.
(٣) سورة التوبة، الآية ٣٣.

التكامل الاجتماعيّ الإنسانيّ بقوله: «**لو لم يبقَ من الدنيا إلاّ يوم واحد، لطوّل الله ذلك اليوم حتى يخرج رجل من أهل بيتي يملأ الأرض عدلاً وقسطًا، كما ملئت ظلمًا وجورًا**»[١].

إنّ دولة الإمام المهديّ عجّل الله فرجه الشريف تمثّل قمة التطوّر البشريّ، ولهذا يبذل العارفون بها أقصى جهدهم في التمهيد لها، وقد يُقتَلون في سبيل تحقيقها، وهنا تأتي أهميّة الإيمان بالرجعة التي من خلالها سيرجع أولئك الواعون من أهل البصائر؛ ليروا الدولة التي طالما سعَوا للتمهيد إليها، وليروا إمامهم الذي طالما كانوا يعبّرون عن شوقهم له في دعاء العهد: «**اللهمّ، فإنْ حال بيني وبينه الموت الذي جعلته على عبادك حتمًا مقضيًّا، فأخرجني من قبري، مؤتزرًا كفني، شاهرًا سيفي، مجرّدًا قناتي، ملبّيًا دعوة الداعي في الحاضر والبادي**»[٢].

وقد وصل عشق العالم الربانيّ السيّد عليّ بن طاوس أنّه أوصى لولده: « **فإن دُعيتُ أنا إلى لقاء الله جلّ جلاله، وتقدّمت**

---

(١) المجلسي، محمد باقر، بحار الأنوار، ج٥١، ص٧٤.
(٢) المصدر السابق، ج٨٣، ص٦١.

قبل الظهور، ولم تشملني عناية أهل الرجعة والحضور، فأوصيك، ثمّ أوصيك، ثمّ أوصي من يلقاه من ذريتي وولدي، وولد ولدي وأشهد الله جلّ جلاله عليكم وملائكته بهذه الوصية: إنّكم إذا رأيتموه، وتشرّفتم بتلك السعادة الربانيّة، وأذن لكم في الكلام بين يدي منزلته النبويّة أن تقولوا: إن والدي عليًّا عبدُ الطاعة ومملوكُ الضراعة ويقبل ما يرضيك أن تقبله بين يديك، ويسأل تشريفه بالإذن في إبلاغ التسليم، والصلاة عليك ويضرع بين يديك في كلّ ما هو يحتاج أن يضرع في سؤاله، وفي كلّ ما أنت صلوات الله وسلامه عليك أهل أن تبلغه من آماله وإقباله، ويسأل من مراحمك ومكارمك قبول وصيته في هذا العبد المبلِّغ عنه، القايم بين يديك، وأن يكون ممّن يعزّ عليك ويبلغ ما هو محتاج من الله جلّ جلاله، ومنك إليه وإليك صلوات الله وبركاته وتحيّاته وإقباله على آبائك الطاهرين، وعليك»[1].

(١) ابن طاوس، علي، كشف المحجة لثمرة المهجة، (لا،ط)، النجف الأشرف، المطبعة الحيدرية، ١٣٧٠هـ، ص ١٥٤-١٥٥.

المصادر والمراجع

١. القرآن الكريم.

-أ-

الأصفهانيّ، أحمد:

٢. حلية الأولياء، ط١، بيروت، منشورات دار الكتب العلمية، ١٤٠٩هـ.

ابن حبّان، محمّد:

٣. صحيح ابن حبان، تحقيق شعيب الأرنؤوط، ط٢، نشر مؤسسة الرسالة، ١٤١٤هـ.

ابن طاووس، علي:

٤. كشف المحجة لثمرة المهجة، (لا،ط)، النجف الأشرف، المطبعة الحيدرية، ١٣٧٠هـ.

الأربليّ، عليّ:
٥. كشف الغُمَّة، ط٢، بيروت، دار الأضواء، ١٤٠٥هـ.
الأسد، ناصر الدين:
٦. مصادر الشعر الجاهليّ، ط٤٠، القاهرة، دار المعارف، ١٩٦٩م.
ابن أبي طالب، الإمام علي:
٧. نهج البلاغة، شرح محمّد عبده، ط١، قم، دار الذخائر، ١٤١٢هـ.
ابن الأثير، مجد الدين:
٨. النهاية في غريب الحديث والأثر، تحقيق طاهر الزاوي ومحمود الطناحي، ط٤، قم، إسماعيليان، ١٣٦٤هـ.ش.
ابن بابويه، علي:
٩. الإمامة والتبصرة، تحقيق ونشر مدرسة الإمام المهدي، قم، ١٤٠٤هـ.
ابن حنبل، أحمد:

١٠. مسند أحمد، (لا، ط)، بيروت، دار صادر، (لا، ت).

ابن ابراهيم، علي:

١١. تفسير القمي، ط٣، قم، دار الكتاب، ١٤٠٤هـ.

ابن عساكر، عليّ:

١٢. تاريخ مدينة دمشق، تحقيق عليّ شيري، (لا، ط)، بيروت، دار الفكر، ١٤١٥هـ.

ابن فارس، أحمد:

١٣. معجم مقاييس اللغة، تحقيق عبد السلام هارون، (لا.ط)، قم، مكتب الإعلام الإسلاميّ، ١٤٠٤هـ.

ابن منظور، محمّد:

١٤. لسان العرب، (لا.ط)، قم، نشر أدب الحوزة، ١٤٠٥هـ.

-ب-

البحرانيّ، هاشم:

١٥. غاية المرام، تحقيق علي عاشور، (لا،ط)، (لا،ن)، (لا،ت).

بركات، أكرم:

١٦. حقيقة الجفر عند الشيعة، ط٦، بيروت، بيت السراج، ٢٠١٢م.

١٧. حقيقة مصحف فاطمة عند الشيعة، ط٦، بيروت، بيت السراج، ٢٠١٢م.

البروجرديّ، عليّ:

١٨. طرائف المقال، تحقيق مهدي الرجائي، ط١، قم، مكتبة آية اللّه العظمى المرعشي النجفي، ١٤١٠هـ.

البغداديّ، أحمد:

١٩. تاريخ بغداد، تحقيق مصطفى عبد القادر عطا، ط١، بيروت، دار الكتب العلميّة، ١٤١٧ه.

- ت -

الترمذيّ، محمّد:

٢٠. سنن الترمذيّ، تحقيق عبد الوهاب عبد اللطيف، ط٢، بيروت، دار الفكر،١٤٠٣هـ.

٢١. الجامع الصحيح، منشورات دار إحياء التراث، بيروت، ١٩٨٣م.

-ج-

الجاحظ، أبو عثمان:

٢٢. الحيوان، تحقيق عبد السلام محمد هارون، بيروت، دار إحياء التراث العربي، (لا،ت).

الجوهريّ، إسماعيل:

٢٣. الصحاح، تحقيق أحمد عبد الغفور العطار، ط٤، بيروت، دار العلم للملايين، ١٤٠٧هـ.

الجاحظ، عمرو:

٢٤. العثمانية، تحقيق عبد السلام محمد هارون، (لا،ط)، مصر، دار الكتاب العربي، (لا،ت).

الجوينيّ:

٢٥. فرائد السمطين، تحقيق المحمودي، منشورات مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٤٠٩هـ.

-ح-

الحاكم النيسابوريّ، أبو عبد اللّه:

٢٦. المستدرك، تحقيق يوسف المرعشليّ، (لا، ط)، (لا،م)، (لا،ن)، (لا، ت).

الحائريّ، كاظم:

٢٧. الإمامة وقيادة المجتمع، ط١، قم، باقري، ١٤١٦هـ.

الحسنيّ، هاشم معروف:

٢٨. دراسات في المحدثين والحديث، ط٢، بيروت، دار التعارف، ١٣٩٨هـ.

الحليّ، ابن داود:

٢٩. رجال بن داود، تحقيق محمّد صادق آل بحر العلوم، (لا،ط)، النجف، مطبعة الحيدرية، ١٩٧٢م.

الحليّ، الحسن:

٣٠. كشف اليقين، تحقيق علي آل كوثر،ط١، قم، منشورات مجمع إحياء الثقافة الإسلامية، ١٤١١هـ.

الحيدريّ، كمال:

٣١. علم الإمام، تقرير علي العبادي، ط١، قم، دار فرقد، ٢٠٠٨م.

-خ-

الخمينيّ، روح اللّه:

٣٢. الحكومة الإسلاميّة، ط٢، بيروت، مركز الإمام الخميني الثقافي، ١٤٢٩هـ.

-ر-

الراغب الأصفهانيّ، الحسين:

٣٣. المفردات في غريب القرآن، ط٢، (لا،م)، دفتر ناشر الكتاب، ١٤٠٤ هـ.

-ز-

الزبيديّ، محمّد مرتضى:

٣٤. تاج العروس من جواهر القاموس، تحقيق علي شيري، (لا.ط)، بيروت، دار الفكر، ١٤١٤هـ.

الزحيليّ، وهبة:

٣٥. التفسير المبين في العقيدة والشريعة والمنهج، ط١، بيروت، دار الفكر، ١٤١١هـ.

الزمخشريّ، محمود:

٣٦. أساس البلاغة، (لا،ط)، القاهرة، دار الشعب، ١٩٦٠م.

٣٧. ربيع الأبرار ونصوص الأخبار، تحقيق عبد الأمير مهنا، ط١، بيروت، الأعلميّ، ١٩٩٢م.

زيادة، معن:

٣٨. موسوعة الفلسفة العربيّة، (لا،ط)، (لا،م)، معهد الإنماء العربيّ، (لا،ت).

-س-

السبحانيّ، جعفر:

٣٩. الإلهيّات، ط٣، بيروت، الدار الإسلامية، ١٤٠٩هـ.

-ش-

الشاهروديّ، عليّ:

٤٠. مستدرك سفينة البحار، تحقيق حسن بن علي النمازي، (لا،ط)، قم، مؤسسة النشر الإسلامي، ١٤١٩هـ.

الشريف المرتضى، عليّ:

٤١. رسائل المرتضى، تحقيق أحمد الحسينيّ ومهدي الرجائيّ، (لا،ط)، قم، دار القرآن الكريم، ١٤٠٥هـ.

الشوكانيّ، محمّد:

٤٢. فتح القدير، (لا،ط)، (لا،م)، عالم الكتب، (لا،ت).

-ص-

الصدوق، محمّد:

٤٣. الخصال، تحقيق عليّ أكبر الغفاريّ، (لا،ط)، قم، جماعة المدرسين،١٤٠٣هـ.

٤٤. الاعتقادات، تحقيق عصام عبد السيّد، ط٢، بيروت، دار المفيد، ١٤١٤هـ.

٤٥. التوحيد، تحقيق هاشم الطهرانيّ، (لا، ط)، قم، جماعة المدرّسين، (لا، ت).

٤٦. اعتقادات الصدوق، ط١، قم، المؤتمر العالمي للشيخ المفيد، (لا،ت).

٤٧. عيون أخبار الرضا، (لا،ط)، بيروت، مؤسسة الأعلمي، ١٤٠٤هـ.

٤٨. كمال الدين، (لا،ط)، قم، مؤسسة النشر الإسلامي، ١٤٠٥هـ.

٤٩. من لا يحضره الفقيه، ط٢، قم، مؤسسة النشر، (لا،ت).

الصدوق، عليّ:

٥٠. الإمامة والتبصرة، تحقيق مدرسة الإمام المهدي، ط١، قم، مدرسة الإمام المهدي، ١٤٠٤هـ.

الصفّار، محمّد:

٥١. بصائر الدرجات، (لا،ط)، طهران، منشورات الأعلمي، ١٤٠٤هـ.

-ط-

الطبرانيّ، سليمان:

٥٢. المعجم الكبير، تحقيق حمدي عبد المجيد السلفي، ط٢، نشر دار إحياء التراث العربي، (لا،ت).

الطباطبائيّ، محمّد حسين:

٥٣. تفسير الميزان، ، ط٥، بيروت، الأعلمي، ١٩٨٣م.

٥٤. نهاية الحكمة، ط١٤، قم، مؤسسة النشر الإسلامي، ١٤١٧هـ.

الطبرسيّ، أحمد:

٥٥. الاحتجاج، (لا،ط)، النجف الأشرف، دار النعمان، ١٣٨٦هـ.

٥٦. خاتمة المستدرك، ط١، قم، مؤسسة آل البيت لإحياء التراث، ١٤١٦هـ.

الطبريّ، محمّد:

٥٧. المسترشد، تحقيق أحمد المحمودي، ط١، قم، منشورات مؤسّسة الثقافة الإسلامية، ١٤١٥هـ.

الطوسيّ، محمّد:

٥٨. اختيار معرفة الرجال، تحقيق مهدي الرجائي، (لا،ط)، قم، مؤسسة آل البيت، ١٤٠٤هـ.

٥٩. الرسائل العشر، (لا،ط)، قم، مؤسّسة النشر الإسلاميّ، (لا،ت).

٦٠. تهذيب الأحكام، تحقيق حسن الموسوي الخرسان، ط٣، طهران، دار الكتب الإسلامية، ١٣٦٤هـ.ش.

-ع-

العامليّ، يوسف:

٦١. الدرّ النظيم، (لا،ط)، قم، مؤسسة النشر الإسلاميّ، (لا،ت).

-غ-

الغرناطيّ، محمّد:

٦٢. التسهيل لعلوم القرآن، تحقيق عبد اللّه الخالديّ، ط٤، بيروت، دار الكتاب العربي، (لا،ت).

-ف-

الفراهيديّ، الخليل:

٦٣. كتاب العين، تحقيق مهدي المخزوميّ وخليل السامرانيّ، ط٢، قم، مؤسسة دار الهجرة، ١٤٠٩هـ.

الفضليّ، عبد الهادي:

٦٤. أصول الحديث، ط٣، بيروت، مؤسسة أمّ القرى، ١٤٢١هـ.

الفيض الكاشاني، المولى محسن:

٦٥. تفسير الصافي، ط٢، قم، مؤسسة الهادي، ١٤١٦هـ.
الفيّوميّ، أحمد:
٦٦. المصباح المنير، ط١، قم، دار الهجرة، ١٤٠٥هـ.

-ق-

القميّ، شاذان:
٦٧. الفضائل، (لا،ط)، النجف الأشرف، المطبعة الحيدرية، ١٣٨١هـ.
القندوزيّ، سليمان:
٦٨. ينابيع المودة، تحقيق سيد علي جمال أشرف الحسيني، ط١، أسوة للطباعة والنشر، ١٤١٦هـ.

-ك-

كاشف الغطاء، محمّد:
٦٩. أصل الشيعة وأصولها، تحقيق علاء آل جعفر، ط١، (لا،م)، مؤسسة الإمام علي، ١٤١٥هـ.
المتّقي الهندي، علي:
٧٠. كنز العمال، (لا،ط)، بيروت، مؤسسة الرسالة، ١٤٠٩هـ.

الكلينيّ، محمّد:

٧١. الكافي، تحقيق علي أكبر الغفاري، ط٥، طهران، دار الكتب الإسلامية، ١٣٦٣هـ.

-م-

المازندرانيّ، محمّد صالح:

٧٢. شرح أصول الكافي والروضة، تحقيق أبو الحسن الشعراني، ط١، بيروت، دار إحياء التراث العربي، ١٤٢١هـ.

المجلسيّ، محمّد باقر:

٧٣. بحار الأنوار، تحقيق محمّد الباقر البهبودي ويحيى العابدين الزنجاني وكاظم الموسوي المياموي، ط٣، بيروت، دار إحياء التراث، ١٤٠٣هـ.

مرتضى، جعفر:

٧٤. الصحيح من سيرة الإمام علي (ع)، ط١، قم، مكتب الإعلام الإسلاميّ، ١٤٣٠هـ.

المظفّر، محمّد حسين:

٧٥. علم الإمام، ط٢، بيروت، دار الزهراء، ١٩٨٢م.

المطهري، مرتضى:

٧٦. الإمامة، ترجمة كسَّار،ط١، قم، منشورات أم القرى، ١٤١٧هـ.

المفيد، محمّد:

٧٧. الاختصاص، علي أكبر الغفاري ومحمود الزرندي، ط٢، بيروت، دار المفيد، ١٤١٤هـ.

٧٨. المسائل السروية، تحقيق صائب عبد الحميد، ط٢، بيروت، دار المفيد، ١٤١٤هـ.

٧٩. المسائل العكبريّة، تحقيق علي أكبر الإلهي الخراساني، ط٢، بيروت، دار المفيد، ١٤١٤هـ.

٨٠. أوائل المقالات، تحقيق إبراهيم الأنصاري، ط٢، بيروت، دار المفيد، ١٤١٤هـ.

٨١. تصحيح اعتقادات الإمامية، تحقيق حسين دركاهي، ط٢، بيروت، دار المفيد، ١٤١٤هـ.

-ن-

النوويّ:

٨٢. شرح مسلم، (لا،ط)، بيروت، دار الكتاب العربي، ١٤٠٧هـ.

النيسابوريّ، مسلم:

٨٣. صحيح مسلم، (لا،ط)، بيروت، دار الفكر، (لا،ت).

-هـ-

الهيثميّ، عليّ:

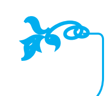
٨٤. مجمع الزوائد، (لا،ط)، بيروت، دار الكتب العلمية، ١٤٠٨هـ.

-و-

الواحديّ، النيسابوريّ:

٨٥. أسباب نزول الآيات، (لا،ط)، القاهرة، مؤسسة الحلبي، ١٣٨٨هـ.

الفهرس



صدر للمؤلف

١- حقيقة الجفر عند الشيعة، بيروت، بيت السراج للثقافة والنشر.

٢- حقيقة مصحف فاطمة عند الشيعة، بيروت، بيت السراج للثقافة والنشر. حائز على جائزة أفضل كتاب لعام ٢٠٠٣م، في مهرجان الولاية الدوليّ في إيران.

٣- ولاية الفقيه، بين البداهة والاختلاف، بيروت، بيت السراج للثقافة والنشر. رسالة ماجستير حازت على درجة ممتاز، مع التنويه والتوصية بالنشر.

٤- دروس في علم الدراية، بيروت، بيت السراج للثقافة والنشر. معتمد في المناهج الدراسية الحوزويّة.

٥- وليالٍ عشر (من وحي عاشوراء)، بيروت، بيت السراج للثقافة والنشر.

٦- برقية الحسين عليه السلام، بيروت، بيت السراج للثقافة والنشر.

مترجم إلى الإنكليزية والفرنسيّة:

The Telegram of Hussein (pbuh).

Le Télégramme d’Al-Houssein (Qu’Allah le salue).

٧- وأتممناها بعشر (من وحي عاشوراء)، بيروت، بيت السراج للثقافة والنشر.

٨- المسائل المصطفاة في أحكام الطهارة والصلاة فوز دو ايغواسو.

٩- أحكام النساء. فوز دو ايغواسو.

١٠- التبليغ من وحي التجربة، قمّ.

١١- Paulo em busca da verdade («باولو» الباحث عن الحقيقة - باللغة البرتغالية).

١٢- «Assalat» A ORACAO NO ISLAM (الصلاة في الإسلام باللغة البرتغالية).

١٣- مختصر الواجبات في الإسلام (UM RESUMO DOS DEVERES NO ISLAM)

١٤- خيوط القبعة، بيروت، دار الصفوة.

١٥- حائك القبعة (الإمـام السيّد عبد الحسين شرف الدين)، بيروت، دار الصفوة.

١٦- التكفير، ضوابط الإسلام وتطبيقات المسلمين، دار الأمير للثقافة والعلوم.

١٧- قافلة البشرية، من سفينة نوح إلى دولة المهديّ عجّل الله فرجه الشريف، بيروت، بيت السراج للثقافة والنشر.

١٨- هذا رسول اللّه صلّى الله عليه وآله وسلّم، بيروت، بيت السراج للثقافة والنشر.

١٩- محاضرات في الثقافة الإسلامية بيروت، بيت السراج للثقافة والنشر.

مجموعة يسألونك، وتضم:

٢٠- يسألونك عن اللّه، بيروت، بيت السراج للثقافة والنشر.

مترجم إلى الإنكليزية والفرنسيّة:

They ask you about Allah.

Ils t’interrogent à propos Allah.

٢١- يسألونك عن الأنبياء عليهم السلام، بيـروت، بيت السراج للثقافة والنشر.

مترجم إلى الإنكليزية والفرنسية:

They ask you about prophets

Ils t'interrogent sur les prophetes

٢٢- يسألونك عن الأئمة عليهم السلام، بيروت، بيت السراج للثقافة والنشر. (بين يدي القارىء).

مترجم إلى الإنكليزية والفرنسية:

They ask you about Imams.

ils t'interrogent sur les imams

٢٣- يسألونك عن الوليّ، بيروت، بيت السراج للثقافة والنشر.

٢٤- يسألونك عن التقليد، بيروت، بيت السراج للثقافة والنشر.

مترجم إلى الإنكليزية والفرنسيّة (مركز نون للتأليف والترجمة):

They ask you about Imitation.

Il t’interrogent sue le Taqlid.

٢٥- يسألونك عن القبر، بيروت، بيت السراج للثقافة والنشر.

مترجم إلى الإنكليزية:

They ask you about Death & the Barrier (The Call for Departure)

٢٦- يسألونك عن القيامة، بيروت، بيت السراج للثقافة والنشر.

مترجم إلى الإنكليزية والفرنسية:

They Ask You about Resurrection

Ils t'interrogent sur la resurrection

مجموعة تعارفوا، وتضم:

٢٧- دليل العروسين بين الخطوبة والزفاف، بيروت، بيت السراج للثقافة والنشر.

مترجم إلى الإنكليزية:

Bride & Bridegroom Manual From Engagement to Marriage

٢٨- سعادة الزوجين في ثلاث كلمات، بيروت، بيت السراج للثقافة والنشر.

٢٩- ٣ حقوق لحياة زوجيّة ناجحة، بيروت، بيت السراج للثقافة والنشر.

٣٠- كيف تجعل ولدك صالحًا؟ بيروت، بيت السراج للثقافة والنشر.

٣١- كيف نتواصل مع الناس؟ بيروت، بيت السراج للثقافة والنشر.

٣٢- كيف نبني مجتمعًا أرقى؟ بيروت، بيت السراج للثقافة والنشر.

٣٣- آية الوصايا العشر، بيروت، بيت السراج للثقافة والنشر.

مجموعة يزكّيهم، وتضم:

٣٤- ميزان السير والسلوك، بيروت، بيت السراج للثقافة والنشر.

٣٥- برنامج السير والسلوك، بيروت، بيت السراج للثقافة والنشر.

٣٦- هكذا تكون سعيدًا، بيروت، بيت السراج للثقافة والنشر.

مترجم إلى الإنكليزية: Finding Happiness.

٣٧- كيف ترجع كما ولدتك أمك؟ بيروت، بيت السراج للثقافة والنشر.

٣٨- شهر اللّٰه آدابه - مناسباته - أولياؤه، بيروت، بيت السراج للثقافة والنشر.

٣٩- لا تَقرَبُوا، بيروت، بيت السراج للثقافة والنشر.

٤٠- كيف نتواصل مع اللّٰه، بيروت، بيت السراج للثقافة والنشر.